

تطبيق منهج تفسير الشيخ محمد سعيد رمضان البوطي في المبادئ والإنسانيات
(دراسة تحليلية عن الكتاب من روائع القرآن تأملات علمية وأدبية في كتاب الله)

بحث علمي

مقدم لإكمال بعض الشروط للحصول على درجة الماجستير



إعداد الطالب

محمد أكوس زهور الفقهاء

رقم القيد 1400018070

جامعة والي سونجو سمارانج برنامج الدراسة العليا

قسم التفسير والحديث 2016



KEMENTERIAN AGAMA
UNIVERSITAS ISLAM NEGERI WALISONGO
PASCASARJANA

Jl. Walisongo 3-5 Semarang 50185, Telp./Fax: 024-7614454, 70774414

FTM-20

PENGESAHAN MAJELIS PENGUJI UJIAN TESIS

Yang bertandatangan di bawah ini menyatakan bahwa tesis saudara:

Nama : M. AGUS ZUHURUL FUQOHAK
NIM : 1400018070
Program Studi : ILMU AGAMA ISLAM
Konsentrasi : Tafsir Hadis
Judul : TATHBIQU MANHAJI TAFSIRI ASY-SYAIK MUHAMMAD SAID ROMADHAN
AL-BUTHI (DIROSAH TAHLILIAH AN AL KITAB MIN ROQAI' AL-QURAN
TA'AMULAT ILMIYYAH WA ADABIYYAH FI KITABILLAH

telah diujikan pada 21 Juli 2016 dan dinyatakan LULUS dalam Ujian Tesis Program Magister.

NAMA	TANGGAL	TANDATANGAN
Prof. Dr. Hj. Siti Mujibatun, M.Ag. Ketua/Penguji	11-11-2016	
Dr. H. In'amuzzahidin, M.Ag. Sekretaris/Penguji	4-11-2016	
Dr. H. Mohammad Arja Imroni, M.Ag. Pembimbing/Penguji	21-10-2016	
Dr. Zuhad, M.A. Penguji	4/11/2016	
H. Ahmad Hakim, M.A., Ph.D. Penguji	6/1/2017	

وزارة الشؤون الدينية

جامعة والي سونجو

الدراسة العليا



شارع والي سونجو ٣-٥ سمارنج ٥٠١٨٥، الفاكس: ٠٢٤-٧٦١٤٤٥٤

تقرير المشرف

إن هذا البحث العلمي الذي قدمه الطالب:

الإسم: محمد أكوس رهور الفقهاء

رقم القيد: ١٤٠٠٠١٨٠٧٠

القسم: التفسير والحديث

العنوان: تطبيق منهج تفسير الشيخ محمد سعيد رمضان البوطي في المبادئ

والإنسانيات (دراسة تحليلية عن الكتاب من روائع القرآن

تأملات علمية وأدبية في كتاب الله)

بعد النظر فيه وأدخلنا بعض التعديلات والإصلاحات اللازمة أرى أن لا مانع لتقديمه

إلى برنامج الدراسة العليا قسم التفسير والحديث لإتمام الدراسة والحصول على درجة

ماجستير (S-2).

سمارنج، ١٦ سبتمبر ٢٠١٦

المشرف

الدكتور الحاج محمد أرجي عمراني الماجستير

رقم القيد: ١٩٦٩٠٧٠٩١٩٩٧٠٣١٠٠١

وزارة الشؤون الدينية

جامعة والي سونجو

الدراسة العليا



شارع والي سونجو ٣-٥ سمارنج ٥٠١٨٥، الفاكس: ٠٢٤-٧٦١٤٤٥٤

إقرار الطالب

أنا الموقع أدناه :

الإسم : محمد أكوس زهور الفقهاء

رقم القيد : ١٤٠٠٠١٨٠٧٠ :

العنوان : تالون كاين باطي جاوي الوسطى

أقر بأن هذا البحث الذي أحضرته لتوفير شرط من شروط النجاح لنيل درجة الماجستير (S-2) في برنامج الدراسة العليا بجامعة والي سونجو سمارنج، وعنوانه:

تطبيق منهج تفسير الشيخ محمد سعيد رمضان البوطي في المبادئ والإنسانيات (دراسة تحليلية عن الكتاب من روائع القرآن تأملات علمية وأدبية في كتاب الله) أحضرته وكتبته بنفسه وما زورته من إبداع غيري. وإذا ادعى أحد مستقبلا أنه من تأليفه وتبين أنه فعلا ليس من بحثي فأنا أتحمل المسؤولية على ذلك ولن تكون المسؤولية على المشرف أو على مسؤولي برنامج الدراسة العليا قسم التفسير والحديث بجامعة والي سونجو سمارنج. حررت هذا الإقرار بناء على رغبتني الخاصة ولا يجبرني أحد على ذلك.

سمارنج، ٢٨ يونيو ٢٠١٦



محمد أكوس زهور الفقهاء

الشعار

بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ

(القرآن سورة الشعراء: 195)

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَعَرَبُوا الْقُرْآنَ،

وَالْتَمِسُوا غَرَائِبَهُ»

(رواه ابن أبي شيبة في المصنف)

الإهداء

✓ إلى من أمرني الله تعالى ببرهما وطاعتهما والإحسان إليهما، إلى والدي
الكرمين، الشيخ رئيس يحيى دحلان الحاج والحاجة ملتنا عمرانة يحيى

وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ
وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ [لقمان: 14]

✓ إلى جميع أسرتي أخي وأخواتي الممتلئة عيونهن بالمحبة والنشاطه ...
✓ إلى جميع إخواني وأخواتي في برنامج الدراسة العليا قسم التفسير والحديث
الخاص... أحبكم جميعا في الله ولا تنسوني أبدا ...
✓ إلى جميع تلاميذي وتلميذاتي، فإني حقا تلمذت وتعلمت الحرص على العلم
منكم، أحبكم في الله كلكم فلا تنسوني في الدعاء ...
✓ إلى من إذا نظرتها سرتني ...
✓ إلى كل جميع المسلمين والمسلمات
أهدي هذا العمل المتواضع ...

ملخص البحث

إن اللون الأدبي يطلب منه التذوق اللغوي. والقوم إذا تذوقوا القرآن طربوا له، وإذا طربوا له أقبلوا إليه قراءة وفهما، وإذا أقبلوا إليه بهذا الشكل، استقامت ألسنتهم وتخلصت من عوج العامية ورطانتها وتذوقوا الأدب العربي في كل فروعه وجوانبه . ولو أن العربية كانت تعيش على ألسنة العرب اليوم أيام شبابه، إذا لكان للقرآن أثر فريد في حياتهم الفكرية والاجتماعية والسياسية والأخلاقية والإنسانية. لم؟ لأن في القرآن مبادئ وقواعد عامة في هذه الأنظمة. وقد بينه الشيخ محمد سعيد رمضان البوطي في كتابه (من روائع القرآن تأملات علمية وأدبية في كتاب الله).

هذا البحث يحلل فكرة الشيخ محمد سعيد رمضان البوطي في ذاك الكتاب، ويخص الباحث بتطبيق منهج تفسيره في المبادئ الإنسانية . ويحدد بلفظ المنهج المصادر والمناهج والألوان التي بنى عليها الشيخ محمد سعيد رمضان البوطي تفسيره. ويريد بالإنسانية مذهباً دينياً متقيداً بالوجود المطلق غير المذهب اللاديني. ومبادئ الإنسانية هذه مسطورة في سورة لقمان: 23-29.

وهذا البحث يكشف موقف الشيخ البوطي في هذا الموضوع، والباحث أولاً يسرد نوعية المصادر والمناهج والألوان التفسيرية. ثم ينظر إلى امتيازات الشيخ البوطي في التفسير من بنية كتابه. ثم يحلل مدى تطبيق هذا الشيخ في المبادئ والإنسانية من سورة لقمان: 23-29 يبحث المذهب الإنساني والأسلوب الأدبي والعلمي فيه.

وأما نتائج البحث فيمكن أن يخلصها الباحث بما يأتي: (1) إن تفسير البوطي يصح أن يعتبر تفسيراً بالمعقول بمنهج موضوع السورة مع اللون الأدبي الاجتماعي الصوفي، (2) إن الشيخ البوطي يستنتج مبادئ إنسانية من سورة لقمان: 23-29 حوالي 11 مبادئ. وأهمها العبودية مع الله.

الكلمات الأساسية : منهج التفسير، من روائع القرآن للشيخ البوطي

كلمة شكر وتقدير

سبحان من لا نحصى ثناء عليه، و الحمد والشكر على الله سبحانه على توفيقه للباحث بالكتابة في هذا الموضوع، وعلى ما أعانته عليه من إتمام هذا العمل، فله الحمد كله وإليه يعود الفضل كله.

وبعد فإنه لا يسع الباحث في هذا المقام إلا أن يتقدم الشكر والامتنان لكل من كان له دورٌ وفضل في مساعدته لإنجاز هذا البحث. وأخص بالذكر:

1. فضيلة الأستاذ الدكتور الحاج محبين نور الماجستير الذي قام بالتدبير العام في جامعة والي سونجو سمارنج.

2. فضيلة الأستاذ الدكتور الحاج أحمد رفيق الماجستير الذي قام بالتدبير الخاص في برنامج الدراسة العليا بجامعة والي سونجو سمارنج.

3. فضيلة الأستاذ الدكتور الحاج محمد أرجى عمراني الماجستير الذي قام بإشراف هذا البحث مع التآني والصبر والإسهام الكبير في إصلاحه جزاه الله حسنا.

4. فضيلة الأساتذة أعضاء لجنة الندوة.

5. فضيلة كل من أعان الباحث على إنجاز هذا البحث وإخراجه بهذه الصورة التي أرجو من الله أن يتقبله بقبول حسن، وأن يثيب من كان عوناً له فيه ولوبحرف أو فكرة، جزاهم الله كل خير، ورزقهم وإياهم التوفيق والسداد والنجاة يوم الحساب.

وإن الباحث لمدين ببالغ الشكر وسابغ الحمد لأولئك السادة الأماجد

الذين طوقوا عنقهم بجليل معاونتهم وتشجيعهم وجميل تقريظهم وتقديرهم. ثم إنه لا يلزم

الباحث إلا رجاء الإصلاح لمن وجد الخلل من هذا البحث والزلل، وليس كل إنسان إلا ومعه عثرات في القول أو الكتابة أو عمل ما.

وأخيرا أرجو من فضل ربي الله سبحانه وتعالى أن يكون هذا البحث مأجورا
ومعدودا من العمل الصالح المهدى ثوابه لحضرة أسلافنا الأجلاء وأن يكون نافعا كما
ينتفع بأصوله ومصادره المهمة وأن يكون عملا جاريا لجميع المسلمين والمسلمات
خصوصا للأبناء مثل الباحث الذين في عصر التمدن والتطور في جميع النواحي فضلا في
التكنولوجيا.

سمارنج، ٢ يونيو ٢٠١٦

الباحث
محمد أكوس زهور الفقهاء

محتويات البحث

أ	صفحة الموضوع
ب	تقرير المشرف
ج	إقرار الطالب
د	الشعار
هـ	الإهداء
و	ملخص البحث
ز	كلمة الشكر والتقدير
ط	محتويات البحث

الباب الأول: المقدمة

1	أ. خلفية البحث
15	ب. مشكلات البحث
16	ت. أهداف البحث
16	ث. أهمية البحث
17	ج. تأييد مصطلح البحث
30	ح. الدراسات السابقة
32	خ. منهج البحث
35	د. تنظيم البحث

الباب الثاني: نظرية البحث

37	1. التفسير
39	2. التفسير الأدبي
49	3. التفسير العلمي
52	4. الإنسانية

الباب الثالث: الشيخ محمد سعيد رمضان البوطي وكتابه من روائع القرآن

59	1. نسبه
61	2. رحلته العلمية
64	3. مواقفه
66	4. الشيخ محمد سعيد رمضان البوطي بين مادحيه وناقديه
67	5. مؤلفاته
76	6. بنية تفسير الشيخ محمد سعيد رمضان البوطي في الكتاب من روائع القرآن تأملات علمية وأدبية في كتاب الله

الباب الرابع: التحليل

87	أ. تحليل خصائص بنية تفسير الشيخ محمد سعيد رمضان البوطي في الكتاب من روائع القرآن تأملات علمية وأدبية في كتاب الله
115	ب. تحليل تطبيق منهج تفسير الشيخ محمد سعيد رمضان البوطي في المبادئ والإنسانيات

الباب الخامس: الخاتمة

144	أ. نتائج البحث
147	ب. اقتراحات البحث

ج. خاتمة البحث , 148

المصادر والمراجع

الباب الأول

المقدمة

أ. خلفية البحث

إن القرآن الكريم كتاب إعجازي من عند الله. ونواحي إعجازه غير منحصرة في علم واحد. بل تظهر إعجازيته من ناحية بيانية وعلمية وطبية ونفسية بل علوم أخرى. وقد وضع العلماء لإظهار نواحي إعجازه تصنيفاً ما بين مختصرات ومطولات. فمثلاً، صنف الإمام جلال الدين السيوطي (ت. 911 هـ) كتاباً سماه معترك الأقران في إعجاز القرآن. ذكر فيه خمسا وثلاثين ناحية من الإعجاز. بل سرد الإمام أن القرآن يحتوي على علوم ومعارف لم يجمعها كتاب من الكتب ولم يخط بعلمها أحد في كلمات قليلة وأحرف معدودة (السيوطي، 1988: 12). وروى حديث الفتن أنه قيل : وما المخرج منها، قال النبي : كتاب الله، فيه نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم (الترمذي، 1999: 464).

وأوضح وجه الإعجاز من القرآن هو الإعجاز البياني أو الأدبي. لم؟ لأن القرآن نزل أولاً على قريش بلغتهم ولم يقدرُوا على مماثلته أبداً. حتى مثل لهم أنه معلوم بالضرورة أن رجلاً عاقلاً لو عطش عطشاً شديداً خاف منه الهلاك على نفسه، وبحضرته ماء معروض للشرب فلم يشربه حتى هلك عطشاً، أنه عاجز عن شربه غير قادر عليه. وهذا بَيِّنٌ واضح لا يشكل على عاقل (عائشة بنت الشاطي، 1977: 81)

ومن الأسف جداً أنه يقل من يتعرض ناحية هذا الإعجاز الأدبي، بل كان أكثر المفسرين يدرسون القرآن من ناحية الإعجاز العلمي، أو الطبي، أو الكلامي

أو الفقهى. كأن التفسير الأدبي لا يمكن أن يحل مسألة من المسائل التي تكون الأمة بصدددها. بل قالت عائشة بنت الشاطي (ت. 1419 هـ):
وقلّ منا - نحن أساتذة العربية في الجامعات - من حاول أن يجعل من النص القرآني موضوعا لدراسة منهجية، على غرار ما نفعل بنصوص أخرى لا سبيل إلى مقارنتها بالقرآن الكريم في إعجازه البياني (عائشة بنت الشاطي، 1977: 14).

وفهم الباحث من هذه المقالة أن سبب قلة من يتعرض لدراسة أدبية في القرآن هو نقص الهمة والاعتناء في هذا الأسلوب. وقد اغتر الكثير بأنواع من العلوم العقلية دون الذوق اللغوي. والحال أن هذه الناحية العلمية صيرت الأمة المحمدية على التقدم والترافع في الثقافة والحضارة. بل قد أشهد البوطي (ت. 1434 هـ) لو أن العربية كانت تعيش على ألسنة العرب اليوم أيام شبابها، إذا لكان للقرآن أثر فريد في حياتهم الفكرية والاجتماعية والسياسية والأخلاقية (البوطي، 1996: 6).

والحال أن الدراسة التي لا ينكر أحد بأهميتها وبصلاحيتها في التفسير القرآني هي الأدبية. وهي سابقة إلى الفهم من غيرها. فمثلا، حينما يبحث عن قوله تعالى (ذلكم فذوقوه) في سورة الأنفال آية 14، يمكن أن تدرس الآية من ناحية الطبية بأن يقال (مصيبة البدر ذاقها الكفار والذوق إنما يتصور في المطعوم والمحسوس مثلا، فكيف يقال بإذاقة المصيبة؟)، أو يمكن أن تدرس من ناحية الفلسفة مثلا بالسؤال (ما معنى الذوق الحقيقي؟)، أو يمكن أن تدرس من ناحية الاجتماعي مثلا بالسؤال (ما العوامل التي تسبب ذوق ذلك وكيف استجابتهم عن ذلك؟)، ولكن يثير تلك الدراسة كلها جدالا بين القابل والراد، بخلاف الدراسة اللغوية الأدبية، مثل التسائل عن معاني الآيات القرآني في الذوق. فقد جاء في القرآن (ذق إنك أنت

العزیز الحکیم) فی سورة الدخان آية 49، وجاء أيضا (فأذاقها الله لباس الجوع والخوف) فی سورة النحل آية 112. وبهذا التفسير القرآني، يتبين أن الذوق لا يلزم المطعوم (الشعرواي، 4063)

فعلم الأدب فن مهم. بل نص ابن خلدون (ت. 808 هـ) أن هذا العلم لا موضوع له ينظر في إثبات عوارضه أو نفيها. وإنما المقصود منه عند أهل اللسان ثمرته، وهي الإجادة في فني المنظوم والمنثور، على أساليب العرب ومناحيهم، فيجمعون لذلك من كلام العرب ما عساه تحصل به الكلمة، من شعر عالي الطبقة، وسجع متساو في الإجادة، ومسائل من اللغة والنحو مبثوثة أثناء ذلك، متفرقة، يستقري منها الناظر في الغالب معظم قوانين العربية، مع ذكر بعض من أيام العرب يفهم به ما يقع في أشعارهم منها. وكذلك ذكر المهم من الأنساب الشهيرة والأخبار العامة. والمقصود بذلك كله أن لا يخفى على الناظر فيه شيء من كلام العرب وأساليبهم ومناحي بلاغتهم إذا تصفّحه لأنّه لا تحصل الملكة من حفظه إلّا بعد فهمه فيحتاج إلى تقديم جميع ما يتوقّف عليه فهمه (ابن خلدون، 2006: 476)

وهذه الطريقة الأدبية يقرب بها إلى فهم النصوص القرآنية. ويتفرع منها ألوان التفاسير. منها ما يسمى بالمنهج البياني في التفسير. فقد نزل على العرب القرآن الكريم وهم في ذروة من البلاغة وقمة من الفصاحة فكانوا ملوكها وأساطينها. ومنها ما يسمى بمنهج التذوق الأدبي في التفسير. ومراده الموازنة بين الذات والموضوع، فللذات حقها في جانب الاستغراق في النص والشعور به بحيث لا يصل إلى الاستغراق الصوفي التام الذي يطغى على النص وعلى جانب الجمال الاجتماعي

فيه. وللموضوع حقه في التزام مدلوله اللغوي وحدوده الشرعية والتنبيه الدقيق إلى المعنى الصحيح السليم والالتزام أبعاد معانيه ومدلولاته بحيث لا يتجاوزها فيشطح (فهد الرومي، 1997: 983).

وبين مناع القطان (ت. 1420 هـ) أنه انتحى كثير من المفسرين منحى جديداً، في العناية بطلاوة الأسلوب، وحسن العبارة، والاهتمام بالنواحي الاجتماعية، والأفكار المعاصرة، والمذاهب الحديثة، فكان التفسير الأدبي الاجتماعي، ومن هؤلاء: محمد عبده، والسيد محمد رشيد رضا، ومحمد مصطفى المراغي، وسيد قطب، ومحمد عزة دروزة (مناع القطان: 346).

والتفسير الأدبي الاجتماعي أشار إليه حسين الذهبي (ت. 1398 هـ) أن ذلك معالجة النصوص القرآنية معالجة تقوم أولاً وقبل كل شيء على إظهار مواضع الدقة في التعبير القرآني، ثم بعد ذلك تُصاغ المعاني التي يهدف القرآن إليها في أسلوب شيق أخاذ، ثم يطبق النص القرآني على ما في الكون من سنن الاجتماع، ونُظِم العمران (حسين الذهبي، 2004: 401)

وتجددت دراسة الأدب في القرآن على عهد الشيخ محمد أمين الخولي (ت.

1385 هـ) زوج عائشة بنت الشاطي. فمدرسته الأدبية تعتبر في إنشاء الحركة

الأدبية للقرآن. ومما أشار إليه أمين الخولي أن المقصد الأسبق والغرض الأبعد هو النظر في القرآن من حيث هو كتاب العربية الأكبر وأثرها الأدبي الأعظم. وهو يقسم دراسة القرآن إلى دراسة ما في النص وما حول النص. وجاء بعد الأستاذ

الخولي تلميذه محمد أحمد خلف الله. كان يزعم أن قصص القرآن أساطير غير

حقيقية. فألف كتاباً سماه الفن القصصي في القرآن. فيثور احتجاجاً عليه فئة من

الغيورين على دينهم ويحميه منهم رجال من الوزراء، وفي مستقبل قريب ينال الرجل مكافأة خروجه أضعاف ما كان له من المراكز والمناصب، ويكون هذا المصير غبطة لآخرين، فتتكرر المهزلة في أيام أخرى على مسائل أخرى مماثلة (فهد الرومي، 1997: 883، 957-960).

وأيضاً، إنّ دراسة أدبية في هذه المدرسة كما قالت عائشة بنت الشاطئ متفرعة عن التفسير الموضوعي. ولذلك، قلّ من تعمّق بدراسته. كأن الوقت لم يتوسع في غوصه. حتى يتمنى البوطي أن يتاح له من الوقت ما يسمح بالتوسع في بحوثه والتعمّق في دراساته، بالقدر الذي يتفق مع روعة القرآن وعمق مراميه ودقة بيانه. ولكنه على يقين بأن الزمن كله أضيق من أن يتّسع لشرح يتكافأ مع عظمتها، والطاقت كلها أقل من أن تنهض باستيعاب دقائقه، والحياة كلها جزء يسير من مدّه الزاخر وإشراقه السامي ومعانيه التي لا تنقضي (البوطي، 1996: 5).

فكان التفسير البياني عند بنت الشاطئ هو تناول الموضوعي الذي يفرغ لدراسة الموضوع الواحد فيه، فيجمع كل ما في القرآن منه، ويهتدى بمألف استعماله للألفاظ والأساليب، بعد تحديد الدلالة اللغوية لكل ذاك (عائشة بنت الشاطئ، 1977: 17). والبوطي رحمه الله يحاول أن يفسر القرآن تفسيراً أدبياً مختصراً بدون التطويل والإطناب كما فعلته بنت الشاطئ. ولذلك حسن أن يكشف منهج تفسيره حتى يصح أن يكون تفسيره مظهراً في التفسير الأدبي بالطريقة المختصرة لأبناء مثل الباحث.

وكان الشيخ محمد سعيد رمضان البوطي عالماً أدبياً معاصراً يحاول أن يفسر القرآن ويؤمله بادعاء أن دراسته دراسة علمية وأدبية. وهو يجاهد أن يحقق ما ادعاه.

فمثلاً، عندما يبحث عن تجاذبية الأرض يقول جينما يفسر قوله تعالى: (أَمَّنْ جَعَلَ
الْأَرْضَ قَرَارًا) إضراب آخر، أريد به الانتقال إلى دليل كوني آخر متعلق بكثير من
خصائص الأرض وسماؤها الواضحة من حولهم وأمام أعينهم. أي لنترك أمر
السموات وحديث المطر والإنبات إلى حقيقة أخرى. من هذا الذي جعل لكم
الأرض قراراً؟ وكلمة «قراراً» هذه تعني كل ما قد أودع الله الأرض من الخصائص
التي تجعلها قارة بنفسها وتجعل الناس متمكنين من القرار عليها، سواء فيما يتعلق
بليتها وصلابتها وطبيعة الإنبات المودعة فيها وضبط ثقلها وخفّتها ومدى بعد
الشمس عنها، ونظام الجاذبية التي فيها وغير ذلك (البوطي، 281).

وهذه الدراسة قد اختفت على أبناء مثل الباحث. لم؟ لأن الأمر المشهور
والدراسة المتحررة أن الأدبي الذي سلك به المفسرون في تفاسيرهم كما قاله حسن
الذهبي فيما مر هو الأدبي الاجتماعي دون الأدب العلمي. فمثلاً عن الكتاب (في
ظلال القرآن) الذي كتبه الشيخ سيد قطب (ت. 1385 هـ). قد ذكر فيه الشيخ
سيد قطب عن أنواع الأدب ونظرية الاجتماع المأخوذة من القرآن. ولكن ما هو
مراد الشيخ البوطي عما يسمى بالأدبي العلمي هذا؟

فالتفسير العلمي هو التفسير الذي يُحْكَمُ الاصطلاحات العلمية في عبارات
القرآن، ويجتهد في استخراج مختلف العلوم والآراء الفلسفية منها (الذهبي، 2004:
180). وأعظم النماذج من كتب التفسير التي سلك فيها مصنفوها على التفسير
العلمي كتاب يسمى الجواهر في تفسير القرآن: المشتمل على عجائب بدائع
المكونات وغرائب الآيات الباهرات، كتبه الشيخ طنطاوي جوهرى (ت. 1358 هـ).
فذكر الشيخ طنطاوي عن أحوال حياة المادة مثلاً، وقارنها بين علم الحيوان

وعلم الرياضيات وآيات القرآن (طنطاوي جوهري، 1351: 16-17). وقد كان

الشيخ محمد سعيد رمضان البوطي سمى تفسيره هذا بالتفسير العلمي ولم يذكر تفاصيل المصطلحات العلمية والفلسفية إلا قلة التعرض مثل (ما تغيب في الأرحام) ومثل (تجاذبية الأرض) بدون التدقيق كما فعله طنطاوي جوهري.

وفي ناحية أخرى، كان الشيخ محمد سعيد رمضان البوطي لم يصنف تفسيراً من أول سورة الفاتحة إلى آخر سورة الناس. بل كان رحمه الله يضع نماذج قليلة ما بين خمس موضوعات من الآية القرآنية. فليس قصده استقصاء جميع الآية ولكن ترك رحمه الله لطلاب العلم أن يتأملوا بالقرآن كما سلك به الشيخ رحمه الله. ولعل هذا من أهم أسباب تسميته للكتاب بتأملات علمية وأدبية دون أن يكون تفسيراً، لأن غالب التفسير هو كماله من سورة الفاتحة إلى الناس. ولما له من تواضع نفسه كما شاهده أكثر العلماء فلا يرى هو كتابه أدنى أن يقال تفسيراً بل يكفي فيه تأمل. وهذا السر أشار إليه البوطي في مقدمة هذا الكتاب بأنه تمنى أن يتاح له من الوقت ما يكمل كتابه ولكن ما لا يدرك جله لا يترك كله وبحته هذا ليس إلا بمثابة إصبع تشير من على الشاطئ إلى المحيط المتلاطم الذي لا يستبين له حدود (البوطي، 1996: 7)

ويظهر هذا المقصد الكريم أيضاً بقوله:

وبعد فقد اخترنا خمسة نصوص من الكتاب المبين للدراسة التطبيقية، وأردنا أن يكون كلٌّ منها نموذجاً لموضوع معين من الموضوعات القرآنية. فاخترنا نصّاً في (الإلهيات) وآخر في (الوصف)، وثالثاً في (المبادئ والإنسانيات) ورابعاً في (القصص) وخامساً في (الحجاج والنقاش) وعليك أن تعكف بعد

ذلك على مختلف كتب التفسير القديمة والحديثة لتواصل السير ولتتم دراستك التطبيقية لكتاب الله كله (البوطي، 1996: 238).

وهذا الذي يحمل الباحث في دراسة كتابه. كي يعلم مدى منهج تفسيره. والحاصل، أن من أسباب اختيار الموضوع والذي حمل الباحث أيضا لكتابة هذا الموضوع لا يكون أقل مما يلي:

أولا، أن الشيخ محمد سعيد رمضان البوطي استشهد كما مر على نفسه أن دراسة الأدب في القرآن هي أول نجاح هذه الأمة لتأثرهم بالقرآن حتى قال رحمه الله وأشهد لو أن العربية كانت تعيش على ألسنة العرب اليوم أيام شبابه، إذا لكان للقرآن أثر فريد في حياتهم الفكرية والاجتماعية والسياسية والأخلاقية (البوطي، 1996: 6)

ثانيا، امتاز هذا الشيخ بمنهج فريد لم يسبق إليه أحد، وسمى منهجه هذا (بتأملات علمية وأدبية)، والذي اشتهر في عصرنا الحديث منهج يسمى (بالتفسير الأدبي الاجتماعي) كما فعل به سيد قطب الشهيد. مثلا، فسر سيد قطب في الظلال عن قوله تعالى (وبالوالدين إحسانا) في سورة الإسراء بأن القرآن يستعمل بهذه العبارات الندية، والصور الموحية، يستجيش وجدان البر والرحمة في قلوب الأبناء. واستدرك هو على اهتمام خطاب القرآن بالأولاد دون الوالدين (سيد قطب، 1412: 2221).

ولم يشغل صاحب الظلال على تبويب شيء قبل تفسيره. بينما كان البوطي جعل بابا خاصا سماه (المبادئ والإنسانيات من سورة الإسراء آية 23-29)، على أن الشيخ البوطي لم يكمل تفسيره تماما كما سلك به صاحب الظلال.

ومما يمتاز به البوطي عن مفسر غيره أنواعٌ. منها أن الشيخ سعيد البوطي جاهد أن يسلك في تفسيره مسلك السلف الصالح يعني لا يدخل تحت خلاف مثير للجدال كما فعل به ناصر حامد أبو زيد القائل بأن القرآن منتج ثقافي ومنتج ثقافي. ومثل أحمد خلف الله القائل بأن قصص القرآن أساطير غير حقيقية، وأمثالهما ممن يثير فكره جدالاً بين الرادّ والقابل. فمثلاً، عند ذكر القصص في القرآن، يردُّ الشيخ البوطي على من ادعى الحرية في الفكر. يقول:

دعك من الطريقة المقصودة إلى إيهام أن منبع القصص القرآني إنما هو ما كان يفيض به المجتمع العربي من خرافات ومخاورات وأسمار. ولكني أريد أن أعلم: في أيِّ مصدر تاريخي أو أدبي أو ديني أو جغرافي أو فلسفي، ثبت أو أشير إلى أن ما جاء به القرآن من قصص عاد وثمود ونوح وفرعون ويوسف وأهل الكهف، إنما كان من القصص الشعبي السائر الذي كان الناس يتداولونه في أسماهم ونواديهم ومخاوراتهم؟ بل حسبي أن أعلم اسم واحد فقط من العرب وقف أو جلس في ناد من نوادي العرب يتحدث بكلمة واحدة من أيِّ قصة جاء بها القرآن من بعد. حسبي ذلك لألمح بارقة لرائحة دليل علمي، لكي أسرع فأقول إن بالإمكان أن يكون هذا صحيحاً، يا عجباً، أيكون القرآن كاذباً من حيث صدق الكاتب؟ (البوطي، 1996: 205)

ومنها أن الشيخ البوطي لم يجرّد بحثه في النصوص محضة كما فعل به ابن قتيبة الدينوري في كتابه غريب القرآن. فمثلاً، في قوله تعالى (وبالوالدين إحساناً) يقول ابن قتيبة: أي ووصى بالوالدين (ابن قتيبة، 1978: 56)، بدون التعرض لما فيه هدف عام في الإنسانيات التي بحث عنها البوطي. بل جاهد البوطي أن يأخذ

معنى عاما أو هدفا يهتدى به إلى حل المشكلات اليومية. وهذا الهدف العام الذي يؤخذ من القرآن يتمشى عليه الشيخ محمد عبده حينما قال:

والتفسير الذي نطلبه هو فهم الكتاب من حيث هو دين يرشد الناس إلى ما فيه سعادتهم في حياتهم الدنيا، وحياتهم الآخرة فإن هذا هو المقصد الأعلى منه، وما وراء هذا من المباحث تابع له أو وسيلة لتحصيله (محمد عبده، 1990: 5).

على خلاف ما اعتمده الأستاذ أمين الخولي، إذ وضع الأستاذ الخولي أن المقصد الأول للتفسير اليوم أدبي محض صرف، غير متأثر بأي اعتبار وراء ذلك وعليه يتوقف تحقق كل غرض آخر يقصد إليه. وهذه هي نظرتة إلى التفسير اليوم وهذا غرضه منه وعلى هذا الأساس، طريقة تناوله ومنهج درسه (أمين الخولي، 1944: 35). ولكن بين البوطي ومحمد عبد فرق سيذكره الباحث عما قريب.

ومنها أن لون تفسير البوطي هذا صوفي كما سيبحثه الكاتب. فمثلا، عندما يتكلم البوطي عن الإنسانية في القرآن، فهو يأخذ أصلا مُهمًا كي يكون الإنسان على إنسانيته وهي العبودية. ثم سرد رحمه الله عن كيفية هذه العبودية. وهذا اللون مما يجعل البوطي ممتازا بين المفسرين غيره مثل الأستاذ أمين الخولي وزوجته عائشة بنت الشاطي. على أنهما بحثا عن معاني الآيات خاصة أيضا. فمثلا، في سورة الضحى عند قوله تعالى (وأما السائل فلا تنهر)، أشارت بنت الشاطي أنها لم تقف على البحث في أسباب بطء الوحي، وكم مدة بطئه بل تكتفي على أنه ليس في السورة كلها ثاء فاصلة، بل ليس فيها حرف الثاء على الإطلاق، ولم يقل تعالى: فَأَخْبِرْ، لتتفق الفواصل على مذهب أصحاب الصنعة ومن يتعلقون به (بنت الشاطي، 1977: 35).

ومما يمتاز به الشيخ محمد سعيد رمضان البوطي عن غيره أيضا أنه يضع نظرية أساسية قبل تطبيقها في التفسير. فمثلا، عندما يتكلم عن المبادئ والإنسانيات، بحث أولا هذا الشيخ عن النزعة الإنسانية في القرآن أمام التطبيق حوالي ما بين ثلاثة أو ستة صفحات كما سيققره الكاتب. ثم أراد تطبيق هذه النظرية في الكلام عن المبادئ والإنسانيات (البوطي، 1996: 216). بخلاف غيره من المفسرين، فهم يفسرون القرآن مسردا بين النظرية والتطبيق جميعا من دون التفريق بينهما. وبهذا يمتاز الشيخ عن غيره مثل سيد قطب الذي وضع نظرية اجتماعية في أثناء تفسيره، والمراغي كذلك، وطنطاوي جوهرى الذي شحّن تفسيره بالمصطلحات الفلسفية والعلمية بالتدقيق، وأحمد حنفي، ومحمد عبده، ورشيد رضا كذلك بل والشيخ علي الصابوني وغيرهم من المفسرين والمفكرين المعاصرين في القرآن. ثم يريد الباحث تحليل تطبيق منهج تفسيره في المبادئ والإنسانيات. لم؟ أولا، كثرت السؤالات عن أسباب تأخر بلاد المسلمين في الإنسانيات وإصلاح العالم. فعندما يرى إلى بلاد سوريا أو أرض اليمان أو بغداد، نشرت فيها أنواع من الاختلاف والافتراق بين المسلمين. بل قد يؤدي إلى سفك الدماء. وعندما يرى إلى بلاد الغرب، مثلا في أمريكا أو أوروبا، يتمثل صلاح وسلام بينهم. حتى رويت عن الشيخ محمد عبده (ت. 1323 هـ) مقالة مشهورة وهي: رأيت الإسلام في الغرب ولم أر المسلمين. وأجاب الشيخ محمد عبده عن هذه المشكلة بقوله:

أرى أن نترك السياسة ونذهب إلى مجهل من مجاهل الأرض لا يعرفنا فيه أحد نختار من أهله عشرة غلمان أو أكثر من الأذكاء السليمي الفطرة فنريهم على منهجنا ونوجه وجوههم إلى مقصدنا فإذا أتيح لكل واحد

منهم تربية عشرة آخرين لا تمضي بضع سنين إلا ولدينا مائة قائد من قواد
الجهاد في سبيل الإصلاح ومن أمثال هؤلاء يرجى الفلاح (فهد بن عبد
الرحمن بن سليمان الرومي، 1983: 134).

وثانيا، في عهد قريب، وقع الأمر الخطير الذي لا ينبغي أن يتكرر وهو دليل
على نقص المبادئ الإنسانية. ألا وهو موت طوسان وسالم. ومن هذا الأمر أيضا ما
قد انتشر من المفاهيم غير التسامحية في المعاملة بين المسلمين وغيرهم. وخصوصا في
بلد الإندونيسي. بل قد يكون ممن له فهم خاطئ فعل وأمر خطير يسمى
بالإرهاب.

ومما يشجع على إعادة هذه المبادئ هو الرجوع إلى ما كان عليه الأمر
الديني من الكتب المقدسة. كما أشار إليه النبي المصطفى صلى الله عليه وسلم:
تركت فيكم أمرين ما إذا تمسكن بهما لن تضلوا أبدا، كتاب الله وسنة نبيه
(مالك، 2013: 688). وهذا البحث يحاول أن يكتشف ما في كتاب الله من
الآيات المرشدة إلى هذا التحليل الإنساني.

وثالثا، إن الثقافة الحضرية قد استعمرت جميع النواحي حتى الذين يستقرون
في البوادي بسبب الانتقال إلى الحضري لأجل الحاجة الاقتصادية. وهذا يؤثر تأثيرا
بليغا في تأخر البوادي عن الأخلاق الكريمة الإنسانية. كما بحثه ابن خلدون في
المقدمة من أن أهل البدو أقرب إلى الخير من أهل الحضرة، وسببه أن النفس إذا
كانت على الفطرة الأولى كانت متهيئة لقبول ما يرد عليها وينطبع فيها من خير أو
شر قال صلى الله عليه وسلم (كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو
ينصرانه أو يمجسانه).

وبقدر ما سبق إليها من أحد الخلقين تبعد عن الآخر ويصعب عليها اكتسابه فصاحب الخير إذا سبقت إلى نفسه عوائد الخير وحصلت لها ملكته بعد عن الشرّ وصعب عليه طريقه وكذا صاحب الشرّ إذا سبقت إليه أيضا عوائده وأهل الحضر لكثرة ما يعانون من فنون الملاذّ وعوائد التّرف والإقبال على الدّنيا والعكوف على شهواتهم منها وقد تلوّنت أنفسهم بكثير من مذمومات الخلق والشرّ وبعدت عليهم طرق الخير ومسالكه بقدر ما حصل لهم من ذلك حتّى لقد ذهب عنهم مذاهب الحشمة في أحوالهم فتجد الكثير منهم يقذعون في أقوال الفحشاء في مجالسهم وبين كبرائهم وأهل محارمهم لا يصدّهم عنه وازع الحشمة لما أخذتهم به عوائد السّوء في التّظاهر بالفواحش قولاً وعملاً.

وأهل البدو وإن كانوا مقبلين على الدّنيا مثلهم إلّا أنّه في المقدار الضّروريّ لا في التّرف ولا في شيء من أسباب الشّهوات واللذات ودواعيها فعوائدهم في معاملاتهم على نسبتها وما يحصل فيهم من مذاهب السّوء ومذمومات الخلق بالنّسبة إلى أهل الحضر أقلّ بكثير فهم أقرب إلى الفطرة الأولى وأبعد عمّا ينطبع في النّفس من سوء الملكات بكثرة العوائد المذمومة وقبحها فيسهل علاجهم عن علاج الحضر وهو ظاهر وقد يتوضّح فيما بعد أنّ الحضارة هي نهاية العمران وخروجه إلى الفساد ونهاية الشرّ والبعد عن الخير فقد تبيّن أنّ أهل البدو أقرب إلى الخير من أهل الحضر والله يحبّ المتّقين (ابن خلدون، 2006: 98).

رابعاً، أن المقصود الأعظم وأهم الصفات الجامعة في الإنسان هو المخلوق

المسؤول. وهذه الصفة هي صفوة الصفات التي ذكر عنها القرآن في الإنسان

(عباس محمود العقاد، 2013: 16). ولكن، ما هو المعيار الذي به اكتشف

مسؤوليته؟ فلا بد إذن في جواب هذا السؤال من بحث التفسير القرآني للإنساني.

خامسا، إن النزعة الإنسانية عند بعض العلماء هي اتجاه فكري عام يشترك فيه العديد من المذاهب الفلسفية والأدبية والأخلاقية والعلمية، ظهرت النزعة الإنسانية في عصر النهضة. وهي مذهب إباحي هدام، ودعوة خادعة من قِبَل دهاة أعداء الدين، وهو مذهب جديد براق من المذاهب الكثيرة التي أنتجتها العقلية الأوربية في الأساس في خِصْم الصراع مع الكنيسة، وفي خِصْم انتشار المذاهب الباطلة في ذلك الوقت، وقيل لها إنسانيةً نسبة إلى الإنسان، وقيل لها عالمية أو أممية لدخول كثير من المفكرين من مختلف البلدان الأوربية وغيرها فيها، قوي أمرها في نصف القرن الثامن عشر (غالب عواجي، 2006: 827)

ولكن الذي يعجب عن تفسير الشيخ البوطي هو تبويه في هذه النزعة بترجمته (النزعة الإنسانية في القرآن)، فكأنَّ الشيخ رحمه الله أراد أن يحاول بنقل هذا التيار الفلسفي اللاديني إلى فهم عميق ديني. ولذلك، يريد الباحث أن يكتشف ويفتش مدى تطبيقية هذا الشيخ منهج تفسيره عن هذه النزعة الإنسانية. كي يزيل هذا العمل ما قد يغرز ببال بعضهم من تناقض هذا التيار الإنساني مع الدين الإسلامي وخصوصا بالقرآن الكريم. حتى يستطيع كل أن يأخذ ما صاف من هذه النزعة ويترك ما كدر منها.

ومما يعين على إعادة هذه الثقافة البدوية المستجمعة للصفات الحميدة الإنسانية أن ينشر المذاهب أو الإيديولوجية الإنسانية للعالم خصوصا لأهل الحضر باستعانة تفسير القرآن العظيم الذي هو كتاب فيه هدى للأمم. وكان الشيخ محمد سعيد رمضان البوطي أديبا شاهده الكبراء من العلماء وهو يبحث عن هذه المبادئ والإنسانيات ويرجى أن يعطي الأسهم النافعة في حلِّ هذه المشكلة باكتشاف وبحث

كتابه هذا (من روائع القرآن: تأملات علمية وأدبية في كتاب الله عز وجل) حتى تجلى فكره عن هذه المسئلة وضوحا.

وبناء على هذه السؤالات في خلفية البحث، يريد الباحث أن يكتشف الغموضات كي يتجلى منهج تفسير الشيخ محمد سعيد رمضان البوطي فيسهل اتباع تفسيره حتى يتم ما نقص من جهوده. فضلا من أن يكون التفسير المتم هو مثل ما سلك به البوطي وعلى منوال منهجه. فبخ بخ للبوطي الذي ابتداء هذا المنهج الكريم وبخ لمن أراد إتمامه حسبما استطاع.

ويريد الباحث أيضا أن يحلل عن تطبيق منهج هذا الشيخ في المبادئ والإنسانيات كي يجيب عن دعوى تعارض النزعة الإنسانية مع القرآن الكريم خصوصا وعلى شرائع الإسلام عموما حتى لا يتهم أحد بأن هناك إنسانية قرآنية.

ب. مشكلات البحث

ولتسهيل المطلب يهوّز الباحث مشكلات البحث في تقرير المسائل والسؤالات مما تقدم كي يتحرر أمرها. وهي كما يلي:

- 1) ما هي خصائص بنية منهج تفسير الشيخ محمد سعيد رمضان البوطي في الكتاب (من روائع القرآن: تأملات علمية وأدبية في كتاب الله عز وجل)؟
- 2) وكيف يكون تطبيق منهج تفسير الشيخ محمد سعيد رمضان البوطي في المبادئ والإنسانيات؟

ت. أهداف البحث

تتلخص أهداف هذه الوسالة بما يلي:

- 1) تبين وتحلل خصائص بنية منهج تفسير الشيخ محمد سعيد رمضان البوطي في الكتاب (من روائع القرآن: تأملات علمية وأدبية في كتاب الله عز وجل).

2) تفصل وتحلل تطبيق منهج تفسير الشيخ محمد سعيد رمضان البوطي في المبادئ والإنسانيات.

ث. أهمية البحث

كانت أهمية هذا البحث في كونه يوضح منهج تفسير الشيخ محمد سعيد رمضان البوطي في المبادئ والإنسانيات نظريا وعمليا.

أما من حيث النظري فإن هذا البحث سيعطي أسهما مكتبية تفسيرية. وهو يبين حقيقة التفسير الأدبي والتفسير العلمي اللذان ترجم بهما الشيخ سعيد رمضان البوطي عن كتابه (من روائع القرآن) . ويوضح أيضا علوم القرآن إجمالا من حيث الفوائد الدراسية التي تعرض بها الشيخ سعيد البوطي.

وسيحاول الباحث عن أنواع المناهج التفسيرية وألوانها ومصادرها. لكي يتضح بهذا البحث موقف الشيخ البوطي في منهج تفسيره. ويبحث أيضا عن نظرية المبادئ والإنسانيات في القرآن. مثل تطور الإنسان في القرآن، والإنسان عند علوم النفس والأجناس البشرية.

وأما من حيث العملي فإن هذا البحث سيسرد عن شخصية الشيخ سعيد رمضان البوطي، وتصوير الكتاب (من روائع القرآن: تأملات علمية وأدبية في كتاب الله)، ثم تبيين منهج تفسيره ولونه ومصادره.

وبعد ذلك كله، يجاهد الباحث أن يحلل عن تطبيق هذا المنهج القيم بإيراد موضوع معين يسلك فيه الباحث كما فعل به البوطي بقدر جهوده المتواضع. وهذا الموضوع يبحث عن المبادئ والإنسانيات. فسيفصل الباحث مدى مذهب الشيخ محمد سعيد رمضان البوطي في بيان المبادئ والإنسانيات.

ج. تأييد مصطلحات البحث

إن هذا البحث سيكتشف ويحلل عن تطبيق الشيخ محمد سعيد رمضان البوطي في منهج تفسيره في كتابه من روائع القرآن تأملات علمية وأدبية في كتاب الله عز وجل. فسيحاول الباحث أولاً عن تصنيف مصدر تفسير هذا الشيخ، ولونه ومنهجه. وذلك بتفتيش ترتيب كتابة تفسيره. ثم بعد ذلك سينظر الباحث عن نظرية المبادئ والإنسانيات التي سردها الشيخ البوطي رحمه الله. وسيحلل الباحث عن هذه النظرية قسماً ومذهباً. وبعد ذلك كله، يلخص الباحث بالاستنتاجات العلمية عن هذه النظرية كي تكون مبادئ ومذاهب تفسيرية عن القرآن العظيم عند هذا الشيخ الكريم محمد سعيد رمضان البوطي. وسيسرد الباحث عن معاني مصطلحات البحث كما يلي:

1. تطبيق

إن معنى طَبَّقَ فلانٌ إذا أصاب فص الحديث. وطبق السيف إذا وقع بين عظمين. والمطبق من الرجال: الذي يصيب الأمور برأيه، وأصله من ذلك المطابق من الخيل والإبل: الذي يضع رجله موضع يده. وتطبيق الفرس: تقريبه في العدو. الأصمعي: التطبيق أن يثب البعير فتقع قوائمه بالأرض معا (ابن منظور، 1414: 213). فالتطبيق معناه إصابة الأمور بالرأي. وهذه الأمور هي النظرية التفسيرية عند الشيخ محمد سعيد رمضان البوطي.

2. معنى التفسير والتأويل والتأمل

التفسير في اللغة الإيضاح. والتفسير في الاصطلاح: علم يبحث فيه عن القرآن الكريم من حيث دلالاته على مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية. وعرفوا علم التفسير أيضاً بأنه علم يبحث فيه عن أحوال الكتاب العزيز من جهة نزوله وسنده

وأدائه وألفاظه ومعانيه المتعلقة بالألفاظ والمتعلقة بالأحكام. وعرفوا التفسير تعريفا ثالثا بأنه علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن ومدلولاتها وأحكامها الإفرادية والتركيبية ومعانيها التي تحمل عليها حال التركيب وغير ذلك كمعرفة النسخ وسبب النزول وما به توضيح المقام كالقصة والمثل (الزرقاني، 2001: 7).

أما التأويل في اصطلاح المفسرين فإنه يختلف معناه فبعضهم يرى أنه مرادف للتفسير وعلى هذا فالنسبة بينهما التساوي ويشيع هذا المعنى عند المتقدمين ومنه قول مجاهد إن العلماء يعلمون تأويله يعني القرآن وقول ابن جرير في تفسيره القول في تأويل قوله تعالى: كذا واختلف أهل التأويل في هذه الآية.

وبعضهم يرى أن التفسير يخالف التأويل بالعموم والخصوص فقط ويجعل التفسير أعم مطلقا وكأنه يريد من التأويل بيان مدلول اللفظ بغير المتبادر منه لدليل ويريد من التفسير بيان مدلول اللفظ مطلقا أعم من أن يكون بالمتبادر أو بغير المتبادر.

وبعضهم يرى أن التفسير مباين للتأويل فالتفسير هو القطع بأن مراد الله كذا والتأويل ترجيح أحد الاحتمالات بدون قطع وهذا هو قول الماتريدي أو التفسير بيان اللفظ عن طريق الرواية والتأويل بيان اللفظ عن طريق الدراية أو التفسير هو بيان المعاني التي تستفاد من وضع العبارة والتأويل هو بيان المعاني التي تستفاد بطريق الإشارة وقد اشتهر هذا عند المتأخرين (الزرقاني، 2001: 9).

وأما التأمل فمعناه التثبت. قال ابن منظور: والتأمل التثبت. وتأملت الشيء أي نظرت إليه مستتبنا له. وتأمل الرجل تثبت في الأمر والنظر (ابن منظور، 1414: 27). فالتأمل في كتاب الله كما ترجم به البوطي كتابه (من روائع القرآن: تأملات

علمية وأدبية في كتاب الله) لا يخرج من أن يقال إنه تفسير. ولو كان أدنى وهو دون المرتبة العليا.

وقد قال القاسمي (ت. 1332 هـ) أن الضابط في كون التفسير على أدنى المرتبة وأعلىها كما يلي:

للتفسير مراتب: أدناها أن يبين بالإجمال ما يشرب القلب عظمة الله تعالى وتنزيهه، ويصرف النفس عن الشر ويجذبها إلى الخير، وهذه هي التي قلنا إنها متيسرة لكل أحد ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر [القمر: 17] وأما المرتبة العليا فإنها لا تتم إلا بأمور. أحدها: فهم حقائق الألفاظ المفردة التي أودعها القرآن، بحيث يحقق المفسر ذلك من استعمالات أهل اللغة، غير مكثف بقول فلان، وفهم فلان.. ثانيها: الأساليب: فينبغي أن يكون عنده من علمها ما يفهم به هذه الأساليب الرفيعة، وذلك يحصل بممارسة الكلام البليغ ومزاولته، مع التفتن لنكتته ومحاسنه.. ثالثها: علم أحوال البشر.. ومن أهمه علم التاريخ بأنواعه.. رابعها: العلم بوجه هداية البشر كلهم بالقرآن.. خامسها: العلم بسيرة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، وما كانوا عليه من علم وعمل، وتصرف في الشؤون دنيويها وأخرويها (القاسمي، 1957: 205-206).

3. منهج التفسير

قسّم بعضهم التفسير إلى ثلاثة أقسام تفسير بالرواية ويسمى التفسير بالمأثور وتفسير بالدراية ويسمى التفسير بالرأي وتفسير بالإشارة ويسمى التفسير بالإشاري. فالتفسير المأثور هو ما جاء في القرآن أو السنة أو كلام الصحابة بيانا لمراد الله تعالى من كتابه (الزرقاني، 2001: 14).

والتفسير الإشاري هو تأويل القرآن بغير ظاهره لإشارة خفية تظهر لأرباب السلوك والتصوف ويمكن الجمع بينها وبين الظاهر المراد. واختلف فيه. وشروط قبوله ألا يتنافى وما يظهر من معنى النظم الكريم، وألا يدعى أن المراد وحده دون الظاهر وألا يكون تأويلا بعيدا سخيلا، وألا يكون له معارض شرعي أو عقلي، وأن يكون له شاهد شرعي يؤيده (الزرقاني، 2001: 67).

وأما التفسير بالرأي فالمراد به الاجتهاد المبني على أصول صحيحة وقواعد سلمية متبعة. والمحمود منه ما كان موافقا لغرض الشارع بعيدا عن الجهالة والضلالة متمشيا مع قواعد اللغة العربية معتمدا على أساليبها في فهم النصوص القرآنية الكريمة. والمذموم منه أن يفسر القرآن بدون علم أو يفسره حسب الهوى مع الجهالة بقوانين اللغة أو الشريعة أو يحمل كلام الله على مذهبه الفاسد وبدعته الضالة أو يخوض فيما استأثر الله بعلمه ويجزم بأن المراد من كلام الله هو كذا وكذا (علي الصابوني، 2001: 155-157). وهذا كله هو التفسير من حيث مصادره.

أما التفسير من حيث مناهجه وأساليبه فهو مقسوم إلى أربعة أنواع. وهي تفسير تحليلي وإجمالي وموضوعي ومقارن. أما التفسير التحليلي فهو أن يلتزم المفسر تسلسل النظم القرآني والسير معه سورةً سورةً وآيةً آيةً. وهو النمط الذي سلكه سائر المفسرين القدماء إلا القليل النادر. وأما التفسير الإجمالي فهو أن يلتزم المفسر تسلسل النظم القرآني أيضا سورةً سورةً.

إلا أنه يقسم السورة إلى مجموعات من الآيات يتناول كل مجموعة بتفسير معانيها إجمالا، مبرزاً مقاصدها موضحاً معانيها مظهرها مراميها، ويجعل بعض ألفاظ الآيات رابطاً بين النص وبين تفسيره، فيورد بين الفينة والأخرى لفظاً من ألفاظ النص القرآني لإشعار القارئ أو السامع بأنه لم يبعد في تفسيره عن سياق النص القرآني ولم

يجانب ألفاظه وعباراته ومشعرًا بما انتهى إليه في تفسيره من النص. وأما التفسير المقارن فهو أن يعتمد المفسر إلى جملة من الآيات في موضع واحد في سورة واحدة يورد أقوال المفسرين السابقين لا ويوازن بينهما ويقارن، وينقد الضعيف ويؤيد الصحيح. وأما التفسير الموضوعي فهو أن يلتزم المفسر موضوعا قرآنيا واحدا يجمع الآيات الواردة فيه؛ ليتناولها بالتفسير مجتمعة ليصل بعد ذلك - حسب جهده - إلى حكم القرآن النهائي في موضوعه الذي يتناوله (فهد الرومي، 1986: 862).

والتفسير من حيث ألوانه أنواع. منها ما كان على نمط الأدبي الاجتماع وهو ما يركب بألفاظ متناسقة دقيقة. ومنها ما يسمى بالتفسير العلمي كما سيوضحه الباحث فيما يلي.

4. التفسير العلمي والتفسير الأدبي

المقصود من التفسير العلمي هو التفسير الذي يُحْكَمُ الاصطلاحات العلمية في عبارات القرآن، ويجتهد في استخراج مختلف العلوم والآراء الفلسفية منها (الذهبي، 2004: 180). وأعظم النماذج من كتب التفسير التي سلك فيها مصنفوها على التفسير العلمي كتاب يسمى الجواهر في تفسير القرآن: المشتمل على عجائب بدائع المكونات وغرائب الآيات الباهرات، كتبه الشيخ طنطاوي جوهرى، وأجلى صورة هذا التفسير بقوله:

ولقد وضعت في هذا التفسير ما يحتاجه المسلم من الأحكام والأخلاق وعجائب الكون، وأثبت فيه غرائب العلوم وعجائب الخلق مما يشوق المسلمين والمسلمات إلى الوقوف على حقائق الآيات البينات في الحيوان والنبات والأرض والسموات (طنطاوي جوهرى، 1351: 3).

وبهذا البيان، لم يمكن إدخال الكتاب (من روائع القرآن) للشيخ سعيد رمضان البوطي تحت ضوء التفسير العلمي. اللهم إلا أن يتبع الباحث على ما اصطلاح عليه البوطي من أن العلم يدور عليه التطور الإسمي. وبدأ الشيخ في بيانه بالسؤال (هل من فرق بين المنهجين: العلمي والديني لدى البحث عن أي حقيقة؟) والجواب يتوقف على معرفة المقصود بالعلم. ثم بين رحمه الله أن معنى العلم اللغوي والمنطق العام هو إدراك الشيء على ما هو عليه في الواقع. فلا ينبغي تفرق بينهما. أما معناه الإصطلاحي الحديث: فهو البحث في تحليلات الموجودات الخاضعة لإحدى الحواس البشرية. إذن، العلم هو الوصول إلى تحليل موجود ما وإدراك عناصره إدراكا صادقا بميزان من الحس المجرد، أما البحث العلمي فهو يعني محاولة الوصول إلى هذا الإدراك بالوسائل التجريبية الخاضعة للحواس (البوطي، 1997: 74).

ثم سرد الشيخ رحمه الله ضعف المعنى الحادث للعلم معللا أن المستنتاجات العلمية ليست من المدركات التجريبية، فمثلا حينما صدم شخص رأسه على الجدار علم بصلابته وهذا هو العلم التجريبي. ولكن من أين العلم بوجود الجدار نفسه وأنه من اسمنت مثلا؟ وعلل أيضا أن هناك ما يوصل إلى اليقين بدون التجريبي، فمثلا تلك الصدمة نفسها توجب إلى يقين صلابته ولو بدون التكرار. وكذا صوت الهاتف مثلا، يوجب العلم على أن هناك شخصا حيا. وقارن رحمه الله بين العلم الإسلامي والعلم الغربي بأن الأول لا بد من الصحة والتواتر في النقل والدليل المشاهد أو اللزوم الأخص في الادعاء. حينما كان الثاني يكتفي فيه القراءة في كتب التاريخ أو علم النفس أو الأخلاق أو الفلسفة المادية للوجود لواحد ممن لم يربط نفسه بالمنهج الإسلامي في البحث لترى الصور المذهلة من الاستنتاجات الوهمية التي لا تقف عند درجة اللزوم (البوطي، 1997: 77).

بناء على هذا، يمكن أن منشأ انحصار التفسير العلمي على دراسة المادية الوجودية إنما تفرع عن معنى العلم الثاني الذي ذكره البوطي رحمه الله. ويحتمل أن البوطي أراد بكتابه (من روائع القرآن: تأملات علمية وأدبية في كتاب الله) تفسيراً علمياً بالمعنى الأول الذي هو مجرد إدراك الشيء على حقيقته ولو بدون التجريبي. فيشمل هذا المعنى على سرد البيانات القرآنية في إيضاح النزعة الإنسانية على ضوء التفسير الموضوعي مثلاً.

هذا ما ظهر للباحث في فهم (التأمل العلمي) الذي أراد به البوطي. وأما الناحية الأخرى من تأملاته، فهي ناحية أدبية. فالقرآن العظيم كلام الله المعجز للخلق في أسلوبه ونظمه وفي روعته وبيانه وفي علومه وحكمه وفي تأثير هدايته وفي كشفه الحجب عن الغيوب الماضية والمستقبلية.

ولقد جاء العلماء في كشف أسرار البيان عن وجوه إعجاز القرآن بعد أن ثبتت عندهم بالوجدان والبرهان وقد أجمع أهل العربية قاطبة وأهل اللسن منهم والبيان أن القرآن (معجز بذاته) أي أن إعجازه إنما كان بفصاحة ألفاظه وروعة بيانه وأسلوبه الفريد الذي لا يشابهه فيه أسلوب لا من نثر ولا من شعر ومسحته اللفظية الخلاصة التي تتجلى في نظامه الصوتي وجماله اللغوي وبراعته الفنية (الصابوني، 2001: 102).

فمعجزة القرآن الأقوى هي بلاغته وحسن أسلوبه وأما الإعجاز بالإخبار عن المغيبات المستقبلية أو الإعجاز بالعلوم الأخرى كالطبية والفلكية وغيرهما فليس مقصوداً لأنه يستلزم أن الآيات التي لا خبر فيها عن المغيبات المستقبلية والماضية أو لا يسرد فيها نظرية العلوم الأخرى لا إعجاز فيها وهو باطل فقد جعل الله كل سورة معجزة بنفسها كما أشار إليه الشيخ مناع القطان (مناع القطان، 262).

وأما المقصود من التفسير الأدبي الاجتماعي فذكر عنه الذهبي بقوله: ونعني بذلك: أن التفسير لم يعد يظهر عليه في هذا العصر ذلك الطابع الجاف. الذي يصرف الناس عن هداية القرآن الكريم، وإنما ظهر عليه طابع آخر، وتلَوَّن بلون يكاد يكون جديداً وطارئاً على التفسير، ذلك هو معالجة النصوص القرآنية معالجة تقوم أولاً وقبل كل شيء على إظهار مواضع الدقة في التعبير القرآني، ثم بعد ذلك تُصاغ المعاني التي يهدف القرآن إليها في أسلوب شَيِّق أَخَذ، ثم يطبق النص القرآني على ما في الكون من سنن الاجتماع، ونُظَّم العمران (الذهبي، 2004: 232).

وبهذا يُفَرَّق بين التفسير الأدبي والتفسير البياني الذي تكلمت عنه عائشة زوجة الأمين الخولي بقولها:

والأصل في منهج هذا التفسير - كما تلقيته عن أستاذي- هو التناول الموضوعي الذي يفرغ لدراسة الموضوع الواحد فيه، فيجمع كل ما في القرآن منه، ويهتدى بمألف استعماله للألفاظ والأساليب، بعد تحديد الدلالة اللغوية لكل ذاك، وهو منهج يختلف والطريقة المعروفة في تفسير القرآن سورة سورة، يؤخذ اللفظ أو الآية فيه، مقتطعاً من سياقه العام في القرآن كله مما لا سبيل معه إلى الإهتمام إلى الدلالة القرآنية لألفاظه، أو ملح ظواهره الأسلوبية وخصائصه البيانية (عائشة بنت الشاطئ، 2001: 18).

ويمكن تخلص الفرق بينهما بعدة أمور، منها أن التفسير الأدبي لم يستكمل

بحثه عن موضوع معين لأن المراد منه إحساس التفسير غير الجاف بيد أن التفسير البياني مفرع عن التفسير الموضوعي، ومنها أن التفسير الأدبي يبحث عن دقة تعبير الآيات القرآنية ثم أخذ المعاني التي تكون هدفاً وقصداً عن سرد الآيات وحينما كان التفسير البياني يبحث عن تحديد الدلالة اللغوية وخصائصه البيانية.

ومنها أن التفسير البياني حذر به بعض العلماء —مثل الشيخ مناع القطان— بحجة أنه يغفل جوانب القرآن المتعددة من أسرار الإعجاز في معانيه وتشريعاته وأحكامه ومبادئه للحياة الإنسانية الفاضلة ويتخذ من النص القرآني مادة للدراسة الأدبية كالنص الشعري أو النثري ودراسة النصوص الأدبية تعتمد على الذوق اللغوي الذي يتفاوت من شخص لآخر بتفاوت ثقافته (مناع القطان، 375).

فالتفسير الأدبي لا بد فيه من ذكر الأسلوب. ويطلق الأسلوب في لغة العرب إطلاقات مختلفة فيقال للطريق بين الأشجار وللفن وللوجه وللمذهب وللشموخ بالأنف ولعنق الأسد ويقال لطريقة المتكلم في كلامه أيضاً، وأنسب هذه المعاني بالاصطلاح الآتي هو المعنى الأخير أو هو الفن أو المذهب لكن مع التقييد. والأسلوب في الاصطلاح: تواضع المتأدبون وعلماء العربية على أن الأسلوب هو الطريقة الكلامية التي يسلكها المتكلم في تأليف كلامه واختيار ألفاظه أو هو المذهب الكلامي الذي انفرد به المتكلم في تأدية معانيه ومقاصده من كلامه أو هو طابع الكلام أو فنه الذي انفرد به المتكلم كذلك.

وعلى هذا فأسلوب القرآن الكريم هو طريقته التي انفرد بها في تأليف كلامه واختيار ألفاظه ولا غرابة أن يكون للقرآن الكريم أسلوب خاص به فإن لكل كلام إلهي أو بشري أسلوبه الخاص به وأساليب المتكلمين وطرائقهم في عرض كلامهم من شعر أو نثر تتعدد بتعدد أشخاصهم بل تتعدد في الشخص الواحد بتعدد الموضوعات التي يتناولها والفنون التي يعالجها (الزرقاني، 2001: 253).

الأسلوب هو المعنى المصوغ في ألفاظه مؤلفة على صورة تكون أقرب لنيل الغرض المقصود من الكلام وأفعال في نفوس سامعيه، وأنواع الأساليب ثلاثة: الأول الأسلوب العلمي وهو أهدأ الأساليب وأكثرها احتياجاً إلى المنطق السليم والفكر

المستقيم وأبعدها عن الخيال الشعري لأنه يخاطب العقل ويناجي الفكر ويشرح الحقائق العلمية التي لا تخلو من غموض وخفاء وأظهر ميزات هذا الأسلوب الوضوح ولا بد أن يبدو فيه أثر القوة والجمال، فكتب الدراسة تجري جميعها على هذا النحو من الأساليب (علي الحازم ومصطفى أمين، 1961: 12).

والثاني الأسلوب الأدبي، والجمال أبرز صفاته، ومنشأ جماله ما فيه من خيال رائع وتصوير دقيق وتلمس لوجوه الشبه البعيدة بين الأشياء وإلباس المعنوي ثوب المحسوس وإظهار المحسوس في صورة المعنوي، كقول المتنبي وزائري كأن بها حياء فليس تنزور إلا في الظلام يريد بهذه الزائرة الحمى (علي الحازم ومصطفى أمين، 1961: 13).

والثالث الأسلوب الخطابي، وهنا تبرز قوة المعاني والألفاظ وقوة الحجة والبرهان وقوة العقل الخصب يتحدث الخطيب إلى إرادة سامعيه لإثارة عزائمهم واستنهاض همهم. كقول علي ابن أبي طالب هذا أخو غامد قد بلغت خيله الأنبار وقتل حسان البكرى وأزال خيلكم عن مسالحها وقتل منكم رجالا صالحين وقد بلغني أن الرجل منهم كان يدخل على المرأة المسلمة والأخرى المعاهدة فينزع حجلها وقلبها ورعاثها ثم انصرفوا وافرين ما نال رجلا منهم كلم ولا أريق لهم دم فلو أن رجلا مسلما مات من بعد هذا أسفا ما كان به ملوما بل كان عندي جديرا (علي الحازم ومصطفى أمين، 1961: 16-17).

ويحتمل المراد من وضع الشيخ البوطي كتابه باسم (من روائع القرآن: تأملات علمية وأدبية في كتاب الله) أن هذا الكتاب سلك فيه المصنف بالأسلوب العلمي والأسلوب الأدبي كما سيوضحه الباحث . وهذا الاحتمال أرجح وأمكن من

الاحتمال الأول في التفسير العلمي. وليس من هو أعلم بمقصود الشهيد البوطي من الله ومن هذا الشيخ.

وهذا الترجيح لثلاثة نُقْط:

الأول، أن هذا الشيخ لم يذكر تفسيراً علمياً كما نمط عليه الذهبي، بل سرد الآيات والمنهج القرآني باختصار لا تدقيق للنظر العلمي فيه، وإن عرض فيه رحمه الله شيئاً قليلاً بدون البيان الدقيق. مثل نظرية (نظام الجاذبية في الأرض).

الثاني، جاهد وحاول البوطي في تفسير القرآن باستعمالات الكلمات الرائعة والأسلوب الحسن ولكن توسط هو بما بين الخيالي واللفظ الهدوئي. وهذا من علامة الأسلوب العلمي والأسلوب الأدبي كما سيوضحه الباحث بأنموذج كتابه.

الثالث، بَوَّب البوطي رحمه الله بحثاً يقال له (أسلوب القرآن: دراسة عامة لخصائصه). وكان من الضروري أن من بيّن شيئاً لا بد أن يقع فيه. فالبوطي مثلاً، حينما بحث عن أسلوب القرآن، وقع كلامه في أسلوب أيضاً.

ولما كان المقام مقام إيضاح وكتابة دون الخطابي، فلا مفرّ إذن إلا إلى الأسلوبين فقط. وهما الأسلوب العلمي والأسلوب الأدبي دون الأسلوب الخطابي. لأن الأسلوب الخطابي إنما يحتاج به عند المكاملة بين الناس أو للدفاع عن شيء.

5. دراسة تحليلية

ويعني الباحث بما عبارة عن منهج الوصفي التحليلي. وهو لا يتمثل فقط في جمع البيانات والمعلومات وتبويبها وعرضها، بل إنه يشمل كذلك على تحليل دقيق لهذه البيانات والمعلومات وتفسير عميق لها وسبر لأغوارها من أجل استخلاص الحقائق والتعميمات الجديدة التي تساهم في تراكم المعرفة الإنسانية. وله

أساليب ثلاثة. منها أسلوب مسحي ودراسة الحالة وتحليل المحتوى (ربحي وعثمان، 2002: 44). وهذا الأخير هو الذي يعني الباحث باصطلاح دراسة تحليلية. ويقوم هذا الأسلوب يعني تحليل المحتوى على وصف منظم ودقيق لمحتوى نصوص مكتوبة أو مسموعة من خلال تحديد موضوع الدراسة وهدفها وتعريف مجتمع الدراسة الذي سيتم اختيار الحالات الخاصة منه لدراسة مضمونها وتحليله (ربحي وعثمان، 2002: 48). وسيأتي تفصيل المقصود من هذا الأسلوب في منهج البحث.

6. المبادئ والإنسانيات

إن المبادئ هي أساس كل شيء. ففي مسائل العلم، كانت المبادئ هي أساسه. وهي التي يتوقف عليها مسائل العلم، كتحرير المباحث وتقرير المذاهب، فللبحث أجزاء ثلاثة مرتبة بعضها على بعض، وهي المبادئ، والأواسط، والمقاطع، وهي المقدمات التي تنتهي الأدلة والحجج إليها من الضروريات والمسلمات، ومثل الدور والتسلسل (الجرجاني: 197). فمبادئ الإنسانيات في كتاب الشيخ البوطي هي مسائل ما يتعلق بالإنسان المأخوذ من القرآن الكريم.

وأما الإنسانيات فهي نسبة إلى الإنسان الذي عرفه أهل المنطقة (الدمهوري: 9) بقولهم (الإنسان هو الحيوان الناطق). والإنسانية هي إحدى الصيحات على الكنيسة ورجالها في الزمن الذي تكاثرت فيه الصيحات لانقضاء على النصرانية المحرّفة البولسية، وقد سلك دعاة الإنسانية فلسفة خاصة بهم مفادها أن الناس يجب أن يجتمعوا كلهم تحت لواء واحد، وهو الأخوة الإنسانية، القاسم المشترك بينهم، بعيدين عن الدين وكل ما يتصل به وبعيدين كذلك عن كل التعصّبات التي اخترعها الإنسان، سواء أكانت التعصّبات للبلد،

أو القوم، أو القبيلة، أو الجنس، أو اللون أو غير ذلك، يدخلها الشخص متبرئاً من كل علاقة غير علاقة الإنسانية التي تتسع لجميع التناقضات بين الناس بزعمهم (غالب عواجي، 2006: 825).

والنزعة الإنسانية هي اتجاه النزعة الإنسانية هي اتجاه فكري عام تشترك فيه العديد من المذاهب الفلسفية والأدبية والأخلاقية والعلمية، ظهرت النزعة الإنسانية في عصر النهضة. ومن الأفكار والمعتقدات: تأكيد الفردية الإنسانية: في مجال الدين: الاستجابة لحكم الفرد الخاص ضد سلطة الكنيسة وتأييد فكرة ظهور الدول القومية. وفي مجال الفلسفة: تأكيد ديكرت للوعي الفردي عند المفكر وشدة الاعتماد على الفعل وتغليب وجهة النظر المادية الدنيوية وقصر الاهتمام الإنساني على المظاهر المادية للإنسان في الزمان والمكان. والمذهب الإنساني أوحى بالأفكار التحررية لقادة الفكر في عصر النهضة الأوروبية ووصل إلى ذروته إبان الثورة الفرنسية. والثقة بطبيعة الإنسان وقابليته للكمال، وإمكان حدوث التقدم المستمر وتأكيد أن الشرور والنقائص التي اعترضت طريق الإنسان لم يكن سببها الخطيئة كما تقرر النصرانية، وإنما كان سببها النظام الاجتماعي السيئ (مانع بن حماد الجهني، 1420: 799-800).

ح. الدراسات السابقة

وبعد التفحص المتواضع وبذل الجهد القليل، يلخص الباحث ما أمكن حسب استطاعته بأن الكتب السابقة في مثل هذا البحث هي كما يلي:

نظرية المصلحة وتطبيقها في الأحكام الشرعية (دراسة عن فكر أصول الفقه للشيخ سعيد رمضان البوطي) ، كتب هذه الرسالة بزر جمهور لنيل درجة

الماجستير في الجامعة الحكومية والي سونجو سمارنج في قسم الحكم الشرعي الإسلامي سنة 2012، ويشرح هذا الكاتب عن نظرية المصلحة في كتاب الشيخ رمضان البوطي (ضوابط المصلحة)، ويسرد هو عن أقسام المصلحة وكيفية تطبيقها. ولم يتعرض الكاتب أصلاً عن منهج الشيخ سعيد رمضان في التفسير الذي كان الباحث بصددده.

الرد على الرفاعي والبوطي في كذبهما على أهل السنة والجماعة، ألفها عبد المحسن بن حمد البدر بمطبعة دار ابن الأثير في الرياض عام 2000. ذكر فيها الكاتب أن الشيخ البوطي خطأ بما أراد به النصحية لعلماء نجد. ومن أخطائه أن البوطي أنكر على علماء نجد في الغلو بمحبة النبي. ودفعه الكاتب بأن الغلو في الدين أمر قبيح هلك به من قبلنا. وعلى الجملة، هذا الكتاب لا يتعرض شيئاً مما سيذكر عنه الباحث من منهج البوطي في التفسير إلا تعرفه بفكرة البوطي كي رد عليه.

البوطي الدعوة والجهاد والإسلام السياسي، لهشام عليوان وفادي الغوش. مطبوع بمركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت لبنان، عام 2012 م. سرد الكاتب عن شخصية البوطي رحمه الله في الفصل الأول ونشأته وبيئته في الفصل الثاني وآرائه واتجاهاته في الفصل الثالث. ثم ذكر الردود والنقاشات في الفصل الرابع. ولم يتناول قط الكاتب عن تفسير الشيخ سعيد البوطي.

سيد قطب الأديب الناقد والداعية المجاهد والمفكر المسفر الرائد، للشيخ صالح عبد الفتاح الخالدي المطبوع بدار القلم دمشق عام 2000 م. ذكر فيه الكاتب عن محبته وتقديره وملاحظته لمذهب حياة الشيخ سيد قطب من حيث كونه أديباً ناقداً. فيذكر أدبيته وعجبه عن تفسير سيد قطب. فما ذكر الكاتب أصلاً عن البوطي وتفسيره الذي يكون الباحث غائصاً فيه.

على طريق التفسير البياني، للدكتور فاضل صالح السامرائي بجامعة الشارقة مطبوع في عام 2002 م. فكتابه هذا سلسلة كتب التعبير القرآني فلا يكون تفسيراً بيانياً للقرآن الكريم وإنما يكون خطوة أو خطى على طريق التفسير البياني أو نقطة فيه. فكان الكتاب فيه مساواة بكتاب البوطي من روائع القرآن من حيث عدم تدقيق التفسير البياني فيه كما فعلته بنت الشاطي. ولكن ما كان الكاتب معرضاً لما كتبه البوطي في تفسيره.

الإنسان في القرآن، لعباس محمود العقاد سنة 2013 م. وطبع بمؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة في القاهرة. وهذا الكتاب بحث فيه الكاتب عن نظرية الإنسان في القرآن من الصفات الجامعة التي ذكر عنها القرآن. ثم حاول أن ينظر ناحية الإنسان عند علوم النفس والأجناس البشرية. ولم يتعرض الكاتب قط عن تفسير الشيخ محمد سعيد رمضان البوطي في المبادئ والإنسانيات.

خ. منهج البحث

البحث هو محاولة لاكتشاف المعرفة والتنقيب عنها وتطويرها وتحقيقها بتقص دقيق ونقد عميق (عبد الله محمد الشريف، 1996: 13) ومنهج البحث هو أسلوب للتفكير والعمل يعتمد على الباحث لتنظيم أفكاره وتحليلها وعرضها وبالتالي الوصول إلى نتائج وحقائق معقولة حول الظاهرة موضوع الدراسة (ربحي مصطفى عليان وعثمان محمد غنيم، 2000: 33). والخطوة المستخدمة في هذا البحث هو منهج البحث المكتبي بتجميع المعلومات المحتاجة من المكتبة المتعلقة بمسألة البحث. والطريقة المستخدمة لتجميع المعلومات هي التوثيق بتعلم الكتب والبحوث العلمية المتعلقة بالموضوع نحو الصادرين بآلة السجيل ثم عرضها واستنتاجها. بناء على هذا، سيسلك الباحث إجمالاً على المناهج التالية:

أ) نوع البحث

نظرا من صفة البحث، أن هذا البحث يستخدم منهج البحث الوصفي المكتبي الكيفي. ونظرا من عمق تحليل البحث، هذا البحث موصوف بالمنهج الوصفي. وقد استخدم الباحث في بحثه هذا على طريق بحث مكتبي لأن هذا البحث مبني على الكتب والمقالات المتعلقة بمنهج تفسير الشيخ محمد سعيد رمضان البوطي في المبادئ والإنسانيات. ولعدم ذكر العدد في هذا البحث، كان هذا البحث من قبيل البحث الكيفي دون الكمي (عبد الله محمد الشريف، 1996: 16).

ب) مصادر البحث

ونظرا من مصادر البحث، يستخدم الباحث المصادر الأولية في شكل كتاب (من روائع القرآن: تأملات علمية وأدبية في كتاب الله عز وجل). بالإضافة إلى ذلك، أيد هذا البحث من مصادر ثانوية، فضلا عن الكتب الأخرى التي تدعم مناقشة المواد المتعلقة بهذا البحث.

ت) منهج تجميع المعلومات

باعتبار طريقة تجميع المعلومات، يستخدم الباحث مناهج. فمنها توثيق الكتب عن منهج التفسير وتوثيقه عن المبادئ والإنسانيات. يقول غنيشا وزميله أن الوثيقة مادة توفر معلومات أو إرشادات وهي الوعاء المادي للمعرفة وللذاكرة الإنسانية. ومن شروط كونها صحيحة أن يكون الإنتاج من أصل مصدرها. وتقسم المصادر الوثائقية إلى وثائق المعلومات الأولية كالفكرات والأرشيف، وإلى الوثائق الثانوية كالكتب العامة والمراجع، وإلى الوثائق الثالثة كالبيوغرافيات (ربحي مصطفى عليان وعثمان محمد غنيم، 2000: 119).

ومن الطرق في جمع المواد كما قاله أحمد شلبي طريقة البطاقات. وهي ما كانت غالبا من الورق المقوى وحجم البطاقة هو 10 x 14 سم. وتكون الكتابة بالحرر وبخط واضح. ويكتب في أسفل البطاقة اسم المصدر الذي استمد منه المادة، وكذلك اسم المؤلف ورقم الجزء والصفحة ولا يكتب في كل بطاقة إلا اقتباس واحد (أحمد شلبي، 1968: 64). ففي هذه الرسالة سيستخدم الباحث بهذه الطريقة. فيكتب الباحث المصادر الأصلية والثانوية عن التفاسير الأدبية والعلمية في ناحية المبادئ والإنسانيات.

ومن الطرق أيضا ما يسمى بطريقة الدوسية المقسم وهو عبارة عن غلاف من الكرتون مع كعب يتفاوت عرضه بتفاوت حجم الدوسية. وبهذا الكعب حلقتان يمكن فتحهما وإقفالهما ويؤتى ببضعة أوراق مخزومة لتوضع في هاتين الحلقتين. ويضع الطالب التخطيط الأولى لرسالته حتى يكون من واجبه أن يقسمه أقساما. ومن المستحسن أن يضيف قسما احتياطيا لباب جديد قد يعن له (أحمد شلبي، 1968: 65). وسيفعل الباحث بهذه الطريقة أيضا. فيقسم الباحث الدوسية أقساما منها للتمهيد، ومنها للبحث والاستنتاجات.

والمقابلة نوع من طرق جمع المواد أيضا. وهي تفاعل لفظي يتم بين شخصين في موقف المواجهة حيث يحاول أحدهما وهو القائم بالمقابلة أن يستشير بعض المعلومات التغيرات لدى المبحوث التي تدور حول آرائه ومعتقداته. ومن أنواعها ما يسمى بالمقابلة المفتوحة. وهي ما يقوم فيها الباحث بطرح أسئلة غير محدودة الإجابة (عبد الله محمد الشريف، 1996: 130). وسيستخدم الباحث هذه الطريقة باستشارة بعض من له إلمام وعلم عن فكرة الشيخ محمد سعيد رمضان البوطي من بعض تلامذته في هذه البلدة.

ث) منهج تحليل المعلومات

استخدم الباحث بمنهج التحليلي الوصفي في بحثه. ويرتبط استخدام المنهج الوصفي غالبا بدراسات العلوم الاجتماعية والإنسانية. لا يكاد تطبيق واستخدام المنهج الوصفي في البحث يختلف في مراحله عن تلك التي تشتملها الطريقة العلمية بشكل عام. حيث يبدأ هذا المنهج بتحديد المشكلة ووضع الفروض وجمع البيانات والمعلومات ومن ثم تحليلها وتفسيرها وبالتالي الوصول إلى النتائج والتوصيات (رجحي مصطفى عليان وعثمان محمد غنيم، 2000: 43).

وسيحلل الباحث المعلومات الموجودة تحليلًا كليًا مع مقارنتها ثم يستنبطها. واستهدف هذا التحليل لإجابة مشاكل البحث. وعملية هذا التحليل بنظر منهج تفسير الشيخ محمد سعيد رمضان البوطي على التفصيل. يعني يحلل الباحث ما هو مصدر تفسيره، وما هو منهج تفسيره، وما هو لون تفسيره. ثم يعرض الباحث بعد ذلك عن نظرية المبادئ والإنسانيات في القرآن عند الشيخ محمد سعيد رمضان البوطي. وبعد ذلك يفحص الباحث عن منهج تفسير الشيخ محمد سعيد رمضان البوطي في المبادئ والإنسانيات. وآخرًا يستنتج الباحث للوصول إلى تعميمات مقبولات.

د. تنظيم البحث

لقد قسم الباحث إلى خمسة أبواب، وعلاقتها موصولة قوية. وهي كالتالي:

الباب الأول هو المبدأ الأساسي للبحث الذي يكون صورة كاملة إجمالية.

والباب الأول هو التمهيد المقسوم إلى عدة التفاصيل، تعني خلفية البحث التي تشير القارئ إلى المشكلات الموجودة حتى تدفع الباحث لبحث عنها، وتصورات مشكلات البحث وتحديدها، ومشكلات البحث وأهداف البحث وأهمية البحث

ونظرية البحث وتأييد مصطلحات البحث، والدراسات السابقة للبحث ومنهج البحث وتنظيم البحث.

وبين الباحث في الباب الثاني عن التعريفات التي تتعلق بالموضوع وتكون قاعدة أساسية لاستمرار هذا البحث. بين فيه مفهوم التفسير العلمي والأدبي، ومصادر التفسير ومنهج التفسير ولونه، ويبحث عن المبادئ والإنسانيات على العموم والتفصيل.

والباب الثالث هو مقصد البحث الذي يكون الباحث بصدده. في هذا الباب، يتكلم الباحث عن شخصية الشيخ محمد سعيد رمضان البوطي، ومقصوده عن التأملات العلمية والأدبية في كتاب الله، ونظريته عن المبادئ والإنسانيات في القرآن.

وفي الباب الرابع، يحلل الباحث على منهج تفسير الشيخ محمد سعيد رمضان البوطي في المبادئ والإنسانيات حيث يقسم الباحث إلى فصلين وهما تحليل منهج تفسير الشيخ محمد سعيد رمضان البوطي في الكتاب (من روائع القرآن: تأملات علمية وأدبية في كتاب الله)، وتحليل منهج تفسيره في المبادئ والإنسانيات. وسيتكلم الباحث في الباب الخامس عن الخاتمة التي تحتوي على نتائج البحث المواصلة إليها من البحث وأهم الاقتراحات الواردة في هذا البحث.

الباب الثاني:

نظرية البحث

1. التفسير

التفسير في اللغة مترادف للإيضاح. وهو كشف المغطى والبيان (الأزهري، 2001: 406) وأما التفسير في الاصطلاح فعرف ابن جزي الكلبي (ت. 741) بأنه شرح القرآن وبيان معناه والإفصاح بما يقتضيه بنصه أو إشارته أو نحوه (ابن الجزي، 1416: 6)، وعرفها أبو حيان الأندلسي (ت. 745) بأنه علم يُبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن، ومدلولاتها وأحكامها الإفرادية والتركيبية، ومعانيها التي تُحمل عليها حال التركيب وتتمت ذلك (أبو حيان، 1420: 26). وعرفها بدر الدين الزركشي (ت. 794) بأنه علم يُعرف به فهم كتاب الله المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، وبيان معانيه واستخراج حكمه وأحكامه (الزركشي، 1957: 13)، وبتعريف آخر لـ الزركشي أنه علم نزول الآية وسورتها وأقاصيصها والإشارات النازلة فيها، ثم ترتيب مكيتها ومدنيها، ومحكمها ومتشابهها، وناسخها ومنسوخها، وخاصها وعامها، ومطلقها ومقيدها، ومجملها ومفسرها (الزركشي، 1957: 148)، وعرفها ابن عرفة المالكي (ت. 803) بأنه العلم بمدلول القرآن وخاصية كيفية دلالاته وأسباب النزول والناسخ والمنسوخ (ابن عرفة، 1986: 59).

والتعاريف المتعددة المذكورة متقاربة في الحقيقة. فاللفظ الجامع الذي لا يختلف في كونه تعريفا للتفسير هو أن يقال إن التفسير هو بيان القرآن من عدة النواحي التي تمكن للدارس. فأهل اللغة يقربون ويفسرون من ناحيتها، وكذا أهل العلم الحديث، وأهل الأدب وأهل الكلام وغيرهم حسب ما كان أهلا لهم.

وقد مر في تأييد مصطلح البحث في الباب الأول أن التفسير منقسم إلى أنواع بحسب حيثيتها. فمن حيث المصادر، ينقسم التفسير إلى ثلاثة، التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي والتفسير بالإشارة. ومن حيث المنهج، ينقسم التفسير إلى أربعة، التفسير الإجمالي والتحليلي والموضوعي والمقارن. ومن حيث اللون، ينقسم إلى أنواع فمنها اللون الفقهي واللون الاعتقادي أو الكلامي واللون الأدبي واللون العلمي واللون الصوفي. وسيعرض الباحث عن اللون الأدبي والعلمي اللذان أشار إليهما الشيخ محمد سعيد رمضان البوطي في كتابه كي تكون هذه النظرية كالموطئ والأساس في فهم منهج تفسير هذا الشيخ.

والذي يهم أن هناك فرقا بين المنهج والأسلوب في التفسير. فالإجمالي والتحليلي والموضوعي والمقارن من الأساليب في التفسير دون المنهج فيه. وإذا كانت هذه هي أساليب التفسير في القرآن الكريم وليست مناهجه، بدليل أنه يصح أن يتناول بكل أسلوب منها كل مناهج التفسير، فليس الأسلوب إلا مطية، وليس المنهج إلا طريقا للهدف، فيصح أن يسلك بالتفسير التحليلي منهج أهل السنة والجماعة ويصح أن يسلك به منهج الشيعة كما يصح أيضا أن يسلكوا مناهجهم بالتفسير الموضوعي أو المقارن الإجمالي (فهد الرومي، 1986: 863).

وقد عبر بعضهم تلك الأساليب الأربعة بمنهج التفسير وسمى الاتجاهات المذكورة مثل الاتجاه الفقهي والاتجاه الصوفي والاتجاه الفلسفي والاتجاه العلمي والاتجاه الأدبي وغيره بألوان التفسير، فيقال عند الإطلاق إن هذا التفسير مثلا على اللون الفلسفي واللون الاعتقادي واللون الفقهي واللون الأدبي واللون العلمي وما إلى غير ذلك (حسين الذهبي، 2004: 10).

2. التفسير الأدبي

الأدب لغة إما بمعنى الدعاء ومنه يأدب الناس إلى المحامد وينهاهم عن القبائح، وإما بمعنى الظرف وحسن التناول وإما بمعنى العجب (ابن منظور، 1414: 206)، وعلى العموم، فالأدب عبارة عن معرفة ما يحتز به عن جميع أنواع الخطأ (الجرجاني، بدون السنة: 16).

والأدب في الاصطلاح هو حفظ أشعار العرب وأخبارها والأخذ من كل علم بطرف يريدون من علوم اللسان أو العلوم الشرعية من حيث متونها فقط وهي القرآن والحديث (ابن خلدون، 1971: 763)، وبين الأستاذ أمين الخولي أن الأدب ما يتكون من عناصر أربعة وهي العاطفة والمعنى والأسلوب والخيال. وهذه العاطفة هي التي تمنح الأدب الصفة التي نسميها بالخلود. وهذه العاطفة هي التي تكون أساساً للأدب (أمين الخولي، 2012: 30).

وقد جعل الشيخ فهد الرومي فرقا واضحا بين المنهج البياني والتذوق الأدبي في التفسير. فالأول دراسة قرآنية فنية محضة بدون أن تتقيد بكون الكتاب قرآنا أو غيره ولا يقصد منه سوى الدراسة الأدبية رغم ما يكون في القرآن من الهدف والعام أو المبادئ الهامة. بينما يكون الثاني على خلاف ذلك. ويظهر هذا الغرض بالمقارنة بين ما يسلك عليه الشيخ محمد عبده والأستاذ أمين الخولي كما يأتي. وقد وضع الباحث في هذه النظرية بيانا مختصرا يجلي ويوضح المقارنة بينهما مبتدأ بالتفسير البياني ثم التفسير الأدبي بعده.

قد حسب بعض المؤرخين للمنهج البياني في التفسير خلو صدر الإسلام منه وتجاوزه إلى ما بعده حين ظهرت المصطلحات البلاغية في صدر العصر العباسي هم يحسبون أن معرفة البيان القرآني فرع عن معرفة المصطلحات البلاغية، وفاقهم أن قوم

الفطرة قد درسوا القرآن دراسة من يعرف مناحي البيان وإن فاتهم معرفة مصطلحاته التي ظهرت من بعدهم فهم يعرفون مناحي الإيجاز والإطناب ومواضع الحقيقة والمجاز وقد كفانا الجاحظ مؤنة الرد على من أنكر ذلك (فهد الرومي، 1986: 870).

والمراد من قول الجاحظ هو ما ذكره الجاحظ في الكشف والتبيين هكذا: (طبقات الكلام) وكما لا ينبغي أن يكون اللفظ عاميا، وساقطا سوقيا، فكذلك لا ينبغي أن يكون غريبا وحشيا، إلا أن يكون المتكلم بدويا أعرابيا، فإن الوحشي من الكلام يفهمه الوحشي من الناس، كما يفهم السوقي رطانة السوقي. وكلام الناس في طبقات كما أن الناس أنفسهم في طبقات. فمن الكلام الجزل والسخيف، والملح والحسن، والقبيح والسمح، والخفيف والثقيل، وكله عربي، وبكل قد تكلموا، وبكل قد تمادحوا وتعايوا. فإن زعم زاعم أنه لم يكن في كلامهم تفاضل، ولا بينهم في ذلك تفاوت، فلمذكروا العبي والبكيء، والحصر والمفحم، والخطل والمسهب، والمتشدد، والمتفيهق، والمهمار، والثرثار، والمكثار والهمار، ولمذكروا الحجر والهدر، والهديان والتخليط وقالوا: رجل تلقاة، وفلان يتلهمع في خطبته، وقالوا: فلان يخطيء في جوابه، ويحيل في كلامه، ويناقض في خبره. ولولا أن هذه الأمور قد كانت تكون في بعضهم دون بعض لما سمي ذلك البعض البعض الآخر بهذه الأسماء (الجاحظ، 1423: 136).

إذن، فلا يفهم بالسرعة أن المنهج البياني في التفسير مأخوذ من علم البلاغة أم كان التفسير البياني هو التفسير البلاغي، لا... كيف كان البياني بلاغيا وهو سابق عليه قبل أن يوجد مصطلحات البلاغة مثل المجاز والإطناب وبديع الجناس التام وغيرها مما يتصور بحثه في البلاغة. ودليله هو كلام الجاحظ بذكر أنواع الطبقات

الكلامية في العربية البدوية مثلاً وهم لا يعرفون المصطلحات البلاغية وإن ترسخت وترسخت علومها في بواطنهم الصافية.

وإنما كان جذور التفسير البياني ما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم حينما يفسر قوله تعالى (حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر) ففسر ببيان النهار وسواد الليل. ثم جاء بعده كبار من الصحابة وصغارهم، ومن يقود هذا البياني صحابي جليل اسمه عبد الله بن عباس (ت. 68). حتى يروى أن نافع بن الأزرق جاء مع نجدة بن عويمر في مجلس ابن عباس.

فقال نافع بن الأزرق لنجدة بن عويمر: قم بنا إلى هذا الذي يجترئ على تفسير القرآن بما لا علم له به، فقاما إليه فقالا: إنا نريد أن نسألك عن أشياء من كتاب الله فتفسرها لنا وتأتينا بمصادقة من كلام العرب فإن الله تعالى إنما أنزل القرآن بلسان عربي مبين، فقال ابن عباس: سلاني عما بدا لكما، فقال نافع: أخبرني عن قول الله تعالى (عن اليمين وعن الشمال عزين)، قال العزون: الحلق الرقاق، قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم أما سمعت عبيد بن الأبرص وهو يقول: فجأؤا يهرعون إليه حتى يكونوا حول منبره عزينا.

قال: أخبرني عن قوله (وابتغوا إليه الوسيلة)، قال: الوسيلة الحاجة، قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم أما سمعت عنزة وهو يقول: إن الرجال لهم إليك وسيلة إن يأخذوك تكحلي وتخضي، قال: أخبرني عن قوله (شرعة ومنهاجا)، قال: الشرعة: الدين، والمنهاج: الطريق، قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت أبا سفيان ابن الحارث بن عبد المطلب وهو يقول: لقد نطق المأمون بالصدق والهدى وبين للإسلام دين ومنهاجا، قال: أخبرني عن قوله (إذا أثمر وينعه)، قال:

نضجه وبلاغه قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت قول الشاعر:
إذا ما مشت وسط النساء تأودت كما اهتز غصن ناعم النبت يانع.
قال: أخبرني عن قوله تعالى (وريشا)، قال: الريش المال ، قال: وهل تعرف
العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت الشاعر يقول: فرشني بخير طالما ما قد بريتني
وخير الموالي من يرش ولا يبري، قال أخبرني: عن قوله تعالى (لقد خلقنا الإنسان في
كبد)، قال: في اعتدال واستقامة، قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما
سمعت لبيد بن ربيعة وهو يقول: يا عين هلا بكيت أريد إذ قمنا وقام الخصوم في كبد
(السيوطي، 1974: 68)

فما زال يسأله ابن الأزرق أكثر من مائة وثمان وثمانين سردها السيوطي جميعا
في كتابه الإتقان. فهذا كله يدل على أن التفسير البياني ليس متفرعا عن التفسير
البلاغي كما زعمه بعضهم. بل كان الأمر على خلاف ذلك إن تكلف وجود
الارتباط بينهما، فكان التفسير البلاغي متفرعا وجائيا بعد اللون أو المنهج البياني
هذا. وإلا فكان البلاغي منضما أو مضمونا في هذا التفسير البياني وتكفي تسميته
بهذا البياني.

وهذا النوع البياني في التفسير مستمر من جذوره في العهد النبوي إلى عصور
الصحابة والتابعين حتى في عصور التدوين يعني الثالث الهجري. وفي هذه العهدة،
ألف أبو عبيدة معمر بن المثنى (ت. 210) كتابا سماه مجاز القرآن، ثم الفراء
بكتاب معاني القرآن، ثم الجاحظ (ت. 230) بكتاب نظم القرآن، ثم ابن قتيبة
(ت. 276) بكتاب مشكل القرآن.

وفي الرابع الهجري، ظهر اسم آخر لهذا اللون البياني التفسير، وتبدل لقبه
بإعجاز القرآن. وصنف أبو الحسن علي بن عيسى الرماني (ت. 386) كتابا سماه

النكت في إعجاز القرآن، وأبو بكر الباقلاني (ت. 403) بكتاب إعجاز القرآن. وفي الخامس الهجري ألف عبد القاهر الجرجاني (ت. 471) وسمى كتابه بدلائل الإعجاز، وفي السادس الهجري ظهر الزمخشري (ت. 538) بكتاب تفسير الكشاف.

وفي السابع الهجري، صنف أبو الأصبغ المصري (ت. 654) كتاباً سماه بديع القرآن. وفي الثامن الهجري ألف يحيى بن حمزة العلوي (ت. 649) الطراز. وفي التاسع الهجري، جاء برهان الدين بن عمر البقاعي (ت. 885) بكتاب نظم الدرر في تناسب الآيات والسور. وفي العاشر الهجري، ألف جلال الدين السيوطي (ت. 911) تناسق الدرر في تناسب السور. وفي الثالث عشر الهجري، ظهر محمود الألوسي (ت. 217) بكتاب تفسير روح المعاني. وفي الرابع عشر الهجري، جاء الشيخ محمد عبده بتجديد منوال هذا اللون البياني مع تلميذه رشيد رضا بتفسير المنار (فهد بن عبد الرحمن الرومي، 1977: 881).

وبعده، جاء الأستاذ أمين الخولي الذي نسج على منوال الشيخ محمد عبده مع إطلاق الدراسة الأدبية عن الهدف العام المأخوذ من القرآن. فتخرجت من يده زوجته عائشة بنت الشاطيء، وأحمد خلف الله، ونصر حامد أبو زيد وغيرهم. والشيخ محمد سعيد رمضان البوطي من الذين يتخرجون من جامعة الأزهر بمصر الذي ثم ازدهر هذا اللون البياني الذي نسج على منواله الشيخ محمد عبده والأستاذ أمين الخولي.

ذكر الأستاذ أمين الخولي أن المقصد الأول للتفسير اليوم هو أدبي مجرد غير متأثر بأي اعتبار وراء ذلك، وعليه يتوقف تحقق كل غرض آخر يقصد إليه. وهذه هي نظريته إلى التفسير اليوم وهذا غرضه منه وعلى هذا الأساس، طريقة تناوله ومنهج

درسه. وهذا الدرس الأدبي للقرآن في ذلك المستوى الفني، دون نظر إلى أي اعتبار ديني هو ما نعتده وتعتده معنا الأمم العربية أصلاً، وقرر الأستاذ أن القرآن هو كتاب العلمية الأكبر (أمين الخولي، 1944: 33-35). إذن، كانت الدراسة البيانية بالمعنى الأدبي المحض مؤسسة من الأستاذ أمين. وهذه التي تجعله فارقاً بين قدمائهم الذين يقصدون القرآن وبيانه لنيل الهدف العام. لا لدراسة الأدب محضة. كما يشير عنه الشيخ محمد عبده بأن التفسير الذي يطلبه هو فهم الكتاب من حيث هو دين يرشد الناس إلى ما فيه سعادتهم في حياتهم الدنيا، وحياتهم الآخرة فإن هذا هو المقصد الأعلى منه، وما وراء هذا من المباحث تابع له أو وسيلة لتحصيله (محمد عبده، 1990: 5).

وذكرت بنت الشاطئ أن الطريقة البيانية هذه متفرعة عن التفسير الموضوعي. فكانت مرحلة أولى في اللون البياني موضوعاً. ثم بعده مرحلة زمنية. يعني بعد أن وضع دارس آية معينة وجمعها فيبحث عن الترتيب الزمني كي يتجلى تغير استعمال اللفظ في القرآن وتطوره. فمثلاً، لفظ الله لم يرد في الآيات المكية بالزمن الأول فما كانت الآية الأولى إلا (اقرأ باسم ربك الذي خلق). فيعرف الإله نفسه بأنه رب خالق قبل أن يسمى نفسه الله، وهكذا. ثم بعد ذلك كله، مرحلة دراسية. وينقسم إلى نوعين. دراسة في القرآن ودراسة حول القرآن.

وأما التفسير الأدبي -وعلى مصطلح فهد الرومي هو التدوق الأدبي- فالمراد به تفسير يقوم على الموازنة بين الذات والموضوع. والتدوق للقرآن الكريم حركة نفسية وانطباع ذاتي لا يملك الإنسان له رداً ولا يستطيع له منعاً، بل لا بد أن يظهر أثره في خلجات سامعه وسكناته شاء ذلك أم أبى. فللذات حقها في جانب الاستغراق في النص والشعور به بحيث لا يصل إلى الاستغراق الصوفي التام الذي يطغى على النص

وعلى جانب الجمال الاجتماعي فيه. وللموضوع حقه في التزام مدلوله اللغوي وحدوده الشرعية والتنبيه الدقيق إلى المعنى الصحيح السليم والتزام أبعاد معانيه ومدلولاته بحيث لا يتجاوزها فيشطح (فهد الرومي، 1994: 970).

ويتمثل هذا المنهج في تفسير سيد قطب. ففيه أنواع من الأساس. فمنها، الأسلوب الأدبي. فمثلاً، حينما فسر سورة الضحى يقول: هذه السورة بموضوعها وتعبيرها ومشاهدها وظلالها، وإيقاعها، لمسة من حنان، ونسمة من رحمة، وطائف من ود، ويد حانية تمسح على الآلام والمواجع، وتنسم بالروح والرضى والأمل، وتسكب البرد والطمأنينة واليقين، {ما ودعك ربك وما قلى، وللاخرة خير لك من الأولى، ولسوف يعطيك ربك فترضى} ما تركك ربك من قبل أبداً، وما فلاك من قبل قط، وما أخلاك من رحمته ورعايته وإيوائه ، {ألم يجدك يتيماً فآوى، ووجدك ضالاً فهدى، ووجدك عائلاً فأغنى} ألا تجد مصداق هذا في حياتك؟ ألا تحس مس هذا في قلبك؟ ألا ترى أثر هذا في واقعك؟ لا لا.. {ما ودعك ربك وما قلى} وما انقطع عنك بره وما ينقطع (سيد قطب، 1412: 3925).

ومنها، التذوق للنصوص أو انطباع ذاتي. وهو معنى دقيقاً يشعر به كل من يواجه النصوص القرآنية ابتداءً، وينسكب في حسه بمجرد الاستماع لهذا القرآن وقد يستطيع أن يترجمه إلى كلمات وقد لا يستطيع، فيبدو على قسمات وجهه عجباً ودهشة لروعة القرآن. فمثلاً، حينما يفسر سورة البقرة: 214 يقول: ما قرأت هذه الآية أو تلك إلا وشعرت بقشعريرة من تصور الهول الذي يبلغ بالرسول هذا المبلغ. ومن تصور الهول الكامن في هذه الهواجس والكرب المنزل الذي يرج نفس الرسول هذه الرجة وحالته النفسية في مثل هذه اللحظات، وما يحس به من ألم لا يطاق (سيد قطب، 1412: 2036).

وحاصل ما سرد الباحث من النقول والبيانات أن هناك فرقا واضحا بين ما يسمى بالتفسير البياني والتفسير الأدبي. فالأول مجرد دراسة النص على كونه فنيا وأدبيا لا يخرج إلى قداسيته حتى يتحرر المفكر أن يبحث عن أدبية النص حتى قيل أن القرآن هو كتاب العلمية الكبرى. بينما يكون الثاني يجعل النص مقصودا منه تفعل النفس أو انطباع الذات أو التذوق النصي. وبلفظ آخر، إنما يكون الأول يجعل الأدب غاية والثاني يجعله وسيلة. هذا ما فهم الباحث عن النصوص والبيانات في هذا الموضوع.

ومما يجب أن يعتنى أيضا في هذه المسئلة يعني التذوق الأدبي في التفسير أنه لا بد من معيار وميزان أو عقال كي لا يتحرر المفسر في دراسة أدبه. لأنه لو تحرر حريا محضا لدخل في حيز الصوفي ولبطل قصده في الأدب. وقد مر أن هذا العقال يسمى بالعلاقة بين الذات والموضوع. فلا يخرج المفسر نفسه من التزام هذا العقال كي لا يخرج عن مقصوده (فهد الرومي، 1994: 983).

ولذلك لا بد أيضا من تعرض اللون الصوفي. ولقد اختلف في تعريف الصوفي. فأما قول من قال إنه من الصوف وتصوف إذا لبس الصوف كما يقال تقمص إذا لبس القميص فذلك وجه، ولكن القوم لم يختصوا بلبس الصوف. ومن قال إنهم منسوبون إلى صفة مسجد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فالنسبة إلى الصفة لا تجيء على نحو الصوفي. ومن قال إنه من الصفاء فاشتقاق الصوفي من الصفاء بعيد في مقتضى اللغة. وقول من قال إنه مشتق من الصف فكأنهم في الصف الأول بقلوبهم من حيث المحاضرة من الله تعالى المعنى صحيح ولكن اللغة لا تقتضي هذه النسبة إلى الصف. فالحق أن هذه التسمية غلبت على هذه الطائفة فيقال رجل

صوفي وللجماعة صوفية ومن يتوصل إلى ذلك يقال له متصوف وللجماعة المتصوفة
(القشيري، 1994: 440)

والمراد من اللون الصوفي في التفسير هو الذي يسمى بالتفسير الإشاري.
والتفسير الإشاري هو تأويل القرآن بغير ظاهره لإشارة خفية تظهر لأرباب السلوك
والتصوف ويمكن الجمع بينها وبين الظاهر المراد. واختلف فيه. وشروط قبوله ألا
يتنافى وما يظهر من معنى النظم الكريم، وألا يدعى أن المراد وحده دون الظاهر وألا
يكون تأويلا بعيدا سخيفا، وألا يكون له معارض شرعي أو عقلي، وأن يكون له
شاهد شرعي يؤيده (الزرقاني، 2001: 67).

والتفسير الصوفي ينقسم إلى نوعين. وهما صوفي نظري وصوفي إشاري. وقد
سلك هذا الاتجاه في التفسير فلاسفة الصوفية ويعد ابن عربي شيخ هذه الطريقة في
تفسيره (الفتوحات المكية). والفرق بين النظري والإشاري هو أن التفسير الصوفي
النظري ينبنى على مقدمات علمية تنقدح في ذهن الصوفي أولا ثم ينزل القرآن عليها
بعد ذلك، وأما التفسير الإشاري فلا يركز على مقدمات علمية بل يركز على
رياضة روحية يأخذ بها الصوفي نفسه حتى يصل إلى درجة تنكشف لها فيها من
سجف العبارات هذه الإشارات القدسية وتنهل على قلبه من سحب الغيب ما
تحملة الآيات من المعارف السبحانية. وأن التفسير الصوفي النظري يرى صاحبه أنه
كل ما تحتمله الآية من المعاني وليس وراءه معنى آخر يمكن أن تحمل الآية عليه، هذا
بحسب طاقته طبعاً. أما التفسير الإشاري فلا يرى الصوفي أنه كل ما يراد من الآية
بل يرى أن هناك معنى آخر تحتمله الآية ويراد منها أولاً وقبل كل شيء ذلك هو
المعنى الظاهر الذي ينساق إليه الذهن قبل غيره (حسين الذهبي، 2004: 18).

إنه يجب أن نفرق بين نوعين من التفسير ، هما التفسير الإشاري والتفسير الرمزي. أما الأول فحق ، وهو ينقسم إلى قسمين: تفسير إشاري معنوي. وتفسير إشاري لفظي. ونريد بالتفسير الإشاري المعنوي: التفسير المرتبط بإشارة المعنى العام للآية أو السورة، وهي الدلالة على معنى آخر يستبطن المعنى الإجمالي فهما يؤتيه الله من يشاء من عباده لا يخالف نصا ولا يجافي لفظا ولا يجاوز معنى حقا.

ومن هذا النوع ما سبق ذكره من استدعاء عمر لابن عباس رضي الله عنهم في مجلسه مع شيوخ بدر رضي الله عنه وسؤال عمر لهم ما تقولون في قوله تعالى: {إذا جاء نصر الله والفتح}؟ فقال بعضهم أمرنا نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا، وسكت بعضهم فلم يقل شيئا، فقال لي: أكذاك تقول يا ابن عباس؟ فقلت: لا قال: فما تقول؟ قلت: هو أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أعلمه له قال: {إذا جاء نصر الله والفتح} وذلك علامة أجلك {فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا} فقال عمر: ما أعلم منها إلا ما تقول رواه البخاري.

ونريد بالتفسير الإشاري اللفظي التفسير المرتبط بإشارة لفظه خاصة يستدل بها على معنى آخر يستبطن معناها في سياقها العام ، ومن هذا النوع من التفسير ما استدل به العز بن عبد السلام على صحة أنكحة الكفار من قوله تعالى {وامراته حمالة الحطب} ، ومنه أيضا ما استدل به المفسرون من قوله تعالى {وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن} ، بأنه عبر عنه بهذه العبارة إشارة إلى جهة وجوب المؤن عليه؛ لأن الوالدات إنما ولدن للآباء ولذلك ينسب الولد للأب دون الأم.

أما النوع الذي يجب أن نفرق بينه وبين التفسير الإشاري فهو التفسير الرمزي ، وهو التفسير الذي سلكه الصوفيون وهم يحسبون أنهم يسلكون الأول وما هم بسالكيه. ذلكم أن التفسير الرمزي تفسير صوفي يعتمد في سبيل الوصول إلى المعرفة

على منهج قوامه الوجد والذوق والترقي في مقاماتهم حتى يصل المتصوف مقام
العرفان فتفيض عليه -بزعمهم- مكنونات العلم وأسرار المعرفة بل يصل إلى أبعد من
هذا فتفوض جملة الأمور إليه بحيث لا يسقط ورق من شجر إلا بإذن وكتاب وأجل
منه، وليس وراء هذه مقام ومرتبة (فهد الرومي، 1994: 410).

3. التفسير العلمي

أما مقصود التفسير فكما مر. وأما لفظ العلمي فهو نسبة إلى العلم. والعلم
في اللغة مصدر مرادف للفهم والمعرفة والجزم والإدراك وهو نقيض الجهل من علم
يعلم علما (ابن منظور، 1414: 416).

وأما العلم في الاصطلاح فيختلف تعريفه باختلاف قائله. بل قد قال بعض
العلماء بأن العلم لا يحد. و اختلف في حد العلم فقليل إنه المعرفة، وهو حد لفظي
وهو أضعف أنواع الحدود . ولا يمنع هذا الحد من حيث كون الحد مانعا، وأما من
حيث كون الحد مصورا للماهية فإن في هذا الحد نوعا من الظلم. وقيل أيضا إنه
الذي يعلم به وإنه الذي تكون الذات به عالمة. وفي هذا التعريف من البعد أشد من
الأول. لأن الأول من ناحية التعريف باللفظ الأشهر. والتعريف الثاني باللفظ
الأخفى. وقد قيل في حد العلم: إنه الوصف الذي يتأتى للمتصف به إتقان الفعل
وأحكامه، وهذا ذكر لازم من لوازم العلم فيكون رسميا، وهو أبعد مما قبله من حيث
إنه أخص من العلم فإنه لا يتناول إلا بعض العلوم ويخرج منه العلم بالله وصفاته إذ
ليس يتأتى به إتقان فعل وأحكامه (الغزالي، 1993: 21).

ثم يأخذ الغزالي عن تحديد هذا العلم بقوله:
فإن قلت: فما حد العلم عندك؟ فاعلم أنه اسم مشترك قد يطلق على
الإبصار والإحساس وله حد بحسبه، ويطلق على النخيل وله حد بحسبه،

ويطلق على الظن وله حد آخر، ويطلق على علم الله تعالى على وجه آخر أعلى وأشرف، ولست أعني به شرفاً بمجرد العموم فقط بل بالذات والحقيقة لأنه معنى واحد محيط بجميع التفاصيل ولا تفاصيل ولا تعدد في ذاته. وقد يطلق على إدراك العقل وهو المقصود بالبيان (الغزالي، 1993: 21).

وعرف بعضهم بأن العلم هو إدراك الشيء على حقيقته (إمام الحرمين، 2006: 23) وذكر الشيخ سعيد رمضان البوطي بأن الغربيين الماديين يعرفون العلم بأمر مادي. وهو البحث في تحليلات الموجودات الخاضعة لإحدى الحواس البشرية، بمعنى حصول الإدراكات المستندة إلى الحس والتجريبي (البوطي، 1997: 74). وعلى كل حال، فلفظ العلم اختلفت آراء العلماء في تحديد مصطلحه. فقال

الحكماء في تعريفه: إنه صورة الشيء الحاصلة في العقل، أو حصول الصورة في العقل، أو تعلق النفس بالشيء على جهة انكشافه. وقال المتكلمون: إنه صفة يتجلى بها الأمر لمن قامت به، وزعم الماديون أنه ليس إلا خصوص اليقينيّات التي تستند إلى الحس وحده، وقال علماء التدوين: إنه المسائل المضبوطة بجهة واحدة، والغالب أن تكون تلك المسائل نظرية كلية، وقد تكون ضرورية وقد تكون جزئية (الزرقاني، 2001: 5-6).

إن هذا كله تعريف ماهية العلم من حيث حقيقته المصطلحة. أما العلمي بالنسبة للون التفسير فقد يتمحض بالعرف على تفسير يحكم المصطلحات الفلسفية وغيرها من العلم التجريبي. وهو الذي يصطلح في العصر اليوم يعني عصر النهضة بلفظ العلم. وعرف التفسير العلمي الأستاذ أمين الخولي بأنه هو التفسير الذي يحكم الاصطلاحات العلمية في عبارة القرآن، ويحتهد في استخراج مختلف العلوم والآراء الفلسفية منها (أمين الخولي، 1994: 19-20).

وتوسع الأستاذ محمد الصباغ في تعريفه بأنه تحكيم مصطلحات العلوم في فهم الآية، والربط بين الآيات الكريمة ومكتشفات العلوم التجريبية والفلكية والفلسفية ، ولكن هذان التعريفان لا يخلو من الخلل والقصور. فإن أكثر التفسير العلمي لا يمتثل بالمصطلحات الفلسفية إلا قليلا، وأكثر مباحث في أنواع معينة مثل علم النبات والحيوان والرياضيات والطب. على أن التعبير بالتحكيم يوهم بأن الآية المراد تفسيرها لها معنى آخر، غير المعنى العلمي الذي يراد منها أن تدل عليه، وهذا وإن صدق على بعض التفسير المتمحل والشطحات العلمية، فإنه لا ينطبق على البعض الآخر. فالأصلح لأن يكون تعريفا هو هو تفسير الآيات الكونية الواردة في القرآن على ضوء معطيات العلم الحديث، بغض النظر عن صوابه وخطئه ، ليشمل التفسير الصحيح والتفسير الخاطئ. ولئلا يعطل أنواع العلوم الأخرى، فينبغي تقييد هذا التفسير بكونه تفسيراً علمياً تجريبياً، لئلا يفهم منه أن غيره من التاسير ليس علمياً (فهد الرومي، 1997: 549).

ومن أول ما يتكلم في هذا اللون العلمي من التفسير حجة الإسلام محمد الغزالي (ت. 505) في كتابه إحياء علوم الدين وجواهر القرآن. ثم جاء بعده الإمام فخر الدين الرازي (ت. 606) في تفسيره مفاتيح الغيب. ثم بدر الدين الزركشي (ت. 794). ثم الإمام الجليل جلال الدين السيوطي (ت. 911) في الإتقان. وهذه الدراسة العلمية في القرآن ما زالت متطورة بين الراد المتطرف والمؤيد المتطرف والمعتدل حتى اليوم. فمن المفسرين على هذا الرأي الشيخ طنطاوي جوهرى (ت. 1940) في تفسيره الجواهر. ثم محمد بن أحمد الإسكندري في تفسيره كشف الأسرار النورانية القرآنية فيما يتعلق بالأجرام السماوية والأرضية والحيوانات والنباتات والجواهر المعدنية. ثم جاء الشيخ مصطفى المراغى في كتابه الإسلام والطب الحديث.

وكذا الشيخ رشيد رضا. ولجمال الدين القاسمي فصل فريد في تفسيره ذكره بقوله
فصل في بيان دقائق المسائل العلمية الفلكية الواردة في القرآن الكريم (فهد الرومي،
1997: 560-568).

4. الإنسانية

سيبحث هذه النظرية عن معنى الإنسانية وتاريخ انشارها وأنواع المذاهب فيها
وهي كما يلي:

1) معنى الإنسانية

إن الإنسان وإن نسي أو يتناسى الينبوع الأصيل فهو سيرجع عما قليل من
الزمن بالمحور والارتداد إلى الوجود المحض يعني نفسه يستمد منها معايير التقويم،
ومن ثم يبدأ لحظة جديدة لها في التطور الحضاري داخل الحضارة الواحدة مركز
الصدارة في كل مراحلها. وهذا العود المحوري إلى الوجود الذاتي الأصيل هو ما
يسمى بالنزعة الإنسانية (عبد الرحمن بدوي، 1982: 14).

والنزعة الإنسانية هي اتجاه فكري عام تشترك فيه العديد من المذاهب
الفلسفية والأدبية والأخلاقية والعلمية، ظهرت النزعة الإنسانية في عصر النهضة
(مانع بن حماد، 1420: 799)، وهذا التعريف موافق لما قبله مما قاله عبد
الرحمن بدوي لأن المحور الذاتي إنما يحصل بطريقة المذاهب الفلسفية وغيرها كما
أشار إليه فرنر ييجر (Werner Jaeger) وجوز به سيتا (Saitta) اللذان تنبها إلى أن
النزعة الإنسانية بكل معانيها عند السوفسطائية اليونانية (عبد الرحمن بدوي،
1982: 15).

والسوفسطائية كما قاله التفتازني هي طائفة من الفلاسفة الذين لا يقولون
بوجود الحقيقة المطلقة. فكل الحقيقة عندهم مقيدة برأي المتكلم. فالإسلام مثلاً

يكون مرضيا عند الله في الحقيقة على رأي المسلمين، وهو على خلاف اليهود والنصارى لاعتقادهم أن دينهم هو الحق من ربهم. وكذلك سائر الحقائق، لا حقيقة مطلقة عند السوفسطائية (التفتازني، 2009: 66).

وفي تحديد معنى النزعة الإنسانية من حيث استعماله يلاحظ له معنيان، إما تاريخي وإما مذهبي. أما من حيث التاريخي، فكان إيجاد نزعة إنسانية جديدة تضارع النزعة الإنسانية التي ظهرت في أوروبا في القرون من الرابع عشر إلى السادس عشر. وذلك بإحياء التراث اليوناني من جديد ومعاونة تجربة حية عن طريقه وهو ما يتم بتمثله ونقله من الماضي إلى التطبيق على الحاضر. وأما من حيث المذهب فهو يختلف اختلافا ظاهرا عنه عند أصحاب المعنى التاريخي. فهو لا يعتمد على تجربة روحية تاريخية، بل على مذهب قائم برأسه في فهم الوجود على أساس أن المركز المنظور فيه هو الإنسان وأن الوجود الحق أو الوحيد هو الوجود الإنساني حتى صارت شارته هي من الإنسان بالإنسان إلى الإنسان (عبد الرحمن بدوي، 1972: 16).

وقيل لها إنسانية نسبة إلى الإنسان، وقيل لها عالمية أو أممية لدخول كثير من المفكرين من مختلف البلدان الأوروبية وغيرها فيها، قوي أمرها في نصف القرن الثامن عشر، عصر التحرر في أوروبا، ظهرت في إيطاليا، ثم انشرت إلى البلدان الأخرى، ونادى أهلها بأن يتفق ويتآلف جميع الناس تحت اسم الإنسانية، بسبب اشتراك جميع الناس في أصل الخلق، مع إغفال كل الفوارق بينهم مهما كانت تلك الفوارق دينية أو غير دينية، قومية أو وطنية، أو غير ذلك من الروابط، فلا بُدَّ أن يكون التجمُّع على الإنسانية وحدها بدلاً عن الكنيسة وتعاليمها، وأن الدين أمر شخصي بين الله والإنسان كما كانوا يزعمون في بدء

أمرهم، فالوطن للجميع، ولا قيمة حقيقية لتجزئة الأرض، أو فصل بعضها عن بعضٍ بحجة اختلاف الناس في دينهم وسلوكهم، فإن هذه الأمور تحثُّ على التعالي، وتثير جذوة الخلافات والأحقاد (غالب بن علي عواجي، 2006: 827).

(2) تاريخ انتشارها

قوي أمرها في نصف القرن الثامن عشر، عصر التحرر في أوروبا، ظهرت في إيطاليا، ثم انشرت إلى البلدان الأخرى.. شاعت ديانة الإنسانية هذه في الغرب، وصار لها في كل بلد كاهن أكبر، وجعلوا لها معابد وطقوسًا وسدنة، وقد برزت عند الأمريكان بوضوحٍ حيث جعلوا الإنسانية دينًا ، وقد صيغ المذهب الإنساني في أمريكا في 1933م في بيان الإنسانيين الذي تضمن إنكار وجود الله تعالى وخلقه لهذا الكون ، وإنكار النبوة والرسالة ، والتعليل لنشأة الإنسان وثقافته الدينية، وما يتعلق بحياة الإنسانية كلها مستندين إلى تعليقات الشيوعية الماركسية. وفيما يلي بيان الإنسانيين المشهور مع تعليق خفيف يوضح الغرض من كل فقرة منه:

الأول، الكون موجود بذاته وليس مخلوقًا. والإلحاد والكفر بالله تعالى ظاهر في هذا، وهذا المعتقد كافٍ في كفر من تمسك به. والثاني، الإنسان جزء من الطبيعة، وهو نتيجة عمليات مستمرة فيها. وهذا إنكار لوجود الله أيضًا ، وإنكار لحقيقة وجود الإنسان ، وإسناد خلقه إلى الطبيعة حسب تعليلهم السخيف، ولو سئلوا عن تلك العمليات المستمرة لانقطعوا وأجابوا بما يدل على جهلهم وحقهم. الثالث، ثقافة الإنسان الدينية ليست إلا نتاج التطور التاريخي

الناشئ من التفاعل بين الإنسان والبيئة الطبيعية والوراثة الاجتماعية (غالب ابن عواجي، 2006: 827).

والصورة الواضحة للنزعة الإنسانية في الحضارة العربية بالمعنى العام لا بمعنى الحضارة الإسلامية هي تلك التي نشاهدها في عهد كسرى أنوشروان، هذا الملك المستنير الذي يقال له إنه أفلاطوني النزعة قد عنى بالمسائل الفلسفية والمناظرات التي تدور فيها. فإنه ما دام قلقا على الحقيقة فلم يجد الثبوت على دين الآباء عذرا إلى أن نتهي إلى السلوك بمقتضى ما تشهد الأنفس أنه صحيح وتوافق عليه الأديان. وكذا سلمان الفارسي، فإنه يسلك لطلب الأديان والحقائق. فعندما يتعرف عليه دين النصارى آمن به. ثم أخيرا ينتهي إلى الإسلام (عبد الرحمن بدوي، 1972: 25-40).

3) زعماء الإنسانية

أقيمت هذه الدعوة على أكتاف مجموعة من الكُتّاب الفلاسفة من دول أوروبية مختلفة، كان من أبرزهم أراسمس (Erasmus) المولود في روتردام سنة 1466م، والكاتب الفرنسي فرانسيس بوتر (Francis Potter) المولود 1594-1678 م، والأديب الإنجليزي ت. س. إليوت (Thomas Stearns Eliot) (1888-1965م)، والفيلسوف الألماني شيلر (Schiller) (1795-1805م)، والفيلسوف الإنجليزي جون لوك (John Locke) (1632-1704م)، والفيلسوف الألماني ك. انت (Immanuel Kant) (1724-1804م)، والفيلسوف الفرنسي رينيه ديكارت (René Descartes) (1596-1650م)، والفيلسوف الهولندي سبينوزا (Baruch de Spinoza) (1632-1677م)،

وغيرهم من الفلاسفة مثل جان جاك روسو (Jean-Jacques Rousseau) (1712-1778م).

ويظهر أن هؤلاء الفلاسفة مهمتهم في البداية هي الرغبة في الإطاحة بالكنيسة، والخروج عن سلطة رجالها تحت أي مبرر ، ثم تطورت لتشمل بعد ذلك محاربة كل الأديان ، وفي أولها الدين الإسلامي ، بالإضافة إلى العدو اللدود النصرانية، وقد استغلتها اليهودية العالمية كما هو شأنهم في تبني كل الحركات المناوئة لديانة الجوييم، كما أفادت منها أيضًا النصرانية فيما بعد كأحد أسلحتها الموجهة ضد الإسلام ، وغيرهم من أصحاب الأهواء (غالب بن علي عواجي، 2006: 850).

وقد يتسائل البعض أنه كيف استعمل هذا الشيخ البوطي مصطلح الإنسانية الذي أشاعه أعداء الإسلام؟ فالجواب أنه ليس مقتضى التميز والاستعلاء هو مخاصمة كل ما يأتي من مصدر غير إسلامي، إن كان شيئًا نافعا في ذاته، ولم يكن متعارضا مع الإسلام، فقد أخذ المسلمون الأوائل من الحضارة الفارسية والحضارة البيزنطية ما رأوه نافعا لهم ولا يتعارض مع عقيدتهم وأخلاقهم وأفكارهم وتصوراتهم الإسلامية، إنما مقتضى ذلك ألا يأخذوا من مصدر غير إسلامي أمرا يتصل بالعقيدة أو يتصل بالقيم أو يتصل بالشرعية أو يتصل بالأخلاق، لأن مرجعهم في ذلك كله هو كتاب الله وسنة رسوله، وهو حسبهم وفيه كل ما يحتاجون إليه في هذه الأمور، أما الأدوات الحضارية، والعلم والتجارب النافعة فلا خصومة معها، ولا عدااء ما دامت لا تصادم أصلا من أصول الإسلام. ذلك هو الواقع الإسلامي.. وخلاصته أن الإنسانية الحقيقية والسماحة الحقيقية هي الإسلام (محمد بن قطب إبراهيم، 1983: 603).

وقد أطنب الشيخ محمد سعيد رمضان البوطي عن هذه النظرية الإنسانية في كتابه (المذاهب التوحيدية والفلسفات المعاصرة) ولخص أن مدار هذه الأفكار كلها على شيء واحد هو الدعوة إلى تعميق الإنسان لمعنى الحرية في كيانه وجعلها المنطلق الأول للسلوك والأساس الأول للاختيار. وعملية الاختيار في كيان الإنسان ليست في جوهرها أكثر من ممارسة إنسانية لإقامة علاقة متناسقة بين حياة الإنسان والدنيا المحيطة به. فالاختيار الذي يمارسه أحدنا لا يتحقق إلا من تلاقي طرفين: أحدهما ثابت في أغوار مشاعرنا وإحساسنا، ثانيهما مرتبط بقوانين الكون وأنظمتها، وليست الحرية في حقيقتها شيئاً أكثر من أن يمتلك الإنسان فرصة التنسيق بين هذين الطرفين بقرارات من شعوره الداخلي الذي يسمى بالرغبة أو الإرادة.

إذن، فعلى كل منا أن يدرس أولاً نظام هذه الدنيا التي خلقنا للتعامل معها. ومن العبث أن نتمسك منها بأي فكرة أو عقيدة لا تنسجم مع واقعها وجذورها الثابتة من ورائها. فإذا أقبلنا ندرس نظامها وقوانينها دراسة حرية طليقة لا تنطلق من أي رغبة سابقة فلسوف نجد أنفسنا وجها لوجه أمام دلائل وجود خالق لها ومبدع لنظامها. ولسوف يدعونا ذلك إلى أن نتساءل عن علاقتنا بهذا الخالق المبدع. ولا بد عندئذ أن نطلع على الجواب الذي لا ثاني له، ألا وهو أننا عبيد مملوكون لهذا الخالق، وهنا يبدأ الإنسان باكتشاف هويته والاطلاع على رسالته ومهمته التي خلق في هذه الدنيا للنهوض بها (البوطي، 2008: 293-294).

الباب الثالث:

الشيخ محمد سعيد رمضان البوطي وكتابه من روائع القرآن

أ. الشيخ محمد سعيد رمضان البوطي

1. نسبه

اسمه الكامل هو محمد سعيد رمضان بن ملا رمضان البوطي. والبطوي نسبة إلى بوطان جزيرة تسمى بجزيرة ابن عمر أيضا، التي تقع على ضفاف نهر دجلة عند نقطة التلاقي بين حدود سوريا والعراق وتركيا وكانت ولادته في قرية جليكا في عام 1929 م الموافق 1347 هـ.

اسم أمه منجي واسم أبيه عمر ولقب بالشيخ ملا رمضان. ولما بلغ من العمر أربع سنوات هاجر مع أبيه إلى سوريا بسبب اضطهاد أتاتورك وانتشار الفكر الكمالي. توفيت والدته وعمره ثلاثة عشر سنة في أواخر عام 1942 هـ. وهو أحد أولاد الشيخ ملا رمضان. وجملة أولاد الشيخ ملا أربعة. الأولى اسمها زينب. وهي أسن من الشيخ سعيد بثلاث سنوات. ماتت في عمر ثاني عشر سنة. وعبر عنها البوطي بقوله:

عندما هاجر أبي إلى دمشق كانت لي أخت تكبرني بثلاث سنوات تقريبا اسمها زينب. وكانت لي أخت أصغر مني بسنتين تقريبا. اسمها رقية. فأما رقية فقد توفيت في الأشهر الأولى من وصولنا إلى دمشق. وأما زينب فقد توفيت هي الأخرى بعد وصولنا إلى دمشق بخمس سنوات تقريبا. وكنا نقيم آنذاك في منزل بزقاق عرفات مقابل مسجد ركن الدين. وقد رزق والدي في تلك الفترة بنتا سماها نعيمة. ولكنها توفيت هي الأخرى في السابعة من عمرها تقريبا (البوطي، 2006: 55).

إذن، فالثاني من أولاد الشيخ ملا رمضان هو الشيخ سعيد رمضان البوطي. والثالثة اسمها رقية. وهي أصغر من الشيخ سعيد بستين تقريباً. ماتت في الثاني من عمرها. والرابعة اسمها نعيمة. ماتت في السابعة من عمرها. ثم تزوج أبوه بامرأة تركية. وقد أنجبت منه بنتين. سمى الكبرى منهما زينب والصغرى خديجة وقد عاشتا وتزوجتا في حياته بحمد الله تعالى.

وقُتل الشيخ البوطي يوم الخميس 21 مارس من عام 2013 الموافق 9 جمادى الأولى من عام 1434 هـ، وذلك أثناء إعطائه درساً دينياً في مسجد الإيمان بحي المزعة في دمشق، فبحسب الرواية الرسمية، فإن تفجيراً انتحارياً قد أودى بحياة البوطي و42 شخصاً من بينهم حفيده بالإضافة إلى إصابة 84 آخرين بجروح، بينما نشر مجلس قيادة الثورة في دمشق مقطع فيديو لاحقاً في تاريخ 9 أبريل 2013 على الإنترنت قال إنه يظهر لحظة مقتل البوطي، حيث يظهر الفيديو الشيخ البوطي وهو يعدل عمامته بعد انفجار صغير وقع قرب منبره، ثم يسارع شخص إليه، حاجباً الصورة عن الكاميرا التي كانت تصور الحلقة، وينصرف بسرعة خلفاً الشيخ البوطي والدماء تسيل من رأسه، وهو ما يرى ناشطون أنه يرجح فرضية اغتيال البوطي بالرصاص وليس بالانفجار (موقع ويكيبيديا المأخوذ 1 مايو 2016 ساعة 18:00).

ونفى الدكتور توفيق رمضان نجل الشيخ البوطي في مقابلة تلفزيونية في اليوم نفسه حدوث أي إطلاق نار في المسجد بناء على تجميع روايات الناجين من التفجير، وأكد أن أباه قضى بالتفجير الذي نفذته انتحار، وقد تبادل كلٌّ من النظام والمعارضة الاتهامات على الرغم من إدانة كلا الطرفين للحادث. وقال الشيخ محمد أبو الهدى اليعقوبي المعارض للنظام أن البوطي كان على وشك الانشقاق، وأنه كان

ينوي إعلان موقفه والهجوم على النظام، وأن عملية الاغتيال نفذها النظام السوري بعد أنباء تسربت عن نية عائلته السفر خارج سوريا (موقع ويكيبيديا المأخوذ 1 مايو 2016 ساعة 18:00).

وقد اتهمت بعض المواقع الإخبارية الشيخ يوسف القرضاوي بالتحريض على قتل البوطني عندما دعا في فيديو نُشر له إلى قتل جميع من يعملون مع السلطة من عسكريين ومدنيين وعلماء دين ، فيما نفى يوسف القرضاوي ما نُشر من مزاعم تتهمه بالتحريض ، وقد شُيّع جثمان البوطني يوم السبت 23 مارس 2013 من منزله في دمشق، وصُلِّي عليه في المسجد الأموي، ثم دُفن بجانب قبر صلاح الدين الأيوبي المحاذي لقلعة دمشق قُرب المسجد الأموي . وقد حضر الجنازة ممثلون من إيران ولبنان والأردن، كما أعلن يوم السبت الموافق 23 مارس لسنة 2013 يوم حداد عام في سوريا على الشيخ البوطني ومن سقط معه (موقع ويكيبيديا المأخوذ 1 مايو 2016 ساعة 18:00).

2. رحلته العلمية

ومسلكه الأول في التعلم هو بيد أبيه. بل تأثر هو كثيرا بأبيه. على أن الوالد يعتقد أن المنزل هو المصدر الأول للتربية. وأن الأبوين هما أول مسؤول عن تربية الأولاد. وقد كان الشيخ سعيد عطشان للعلم. فقد تم تلاوته للقرآن في ستة أشهر تحت تعليم المرأة الفاضلة. ثم عهد به أبوه إلى مدرسة ابتدائية أهلية خاصة في زقاق القرمانى قرب سوق ساروجة. ثم بعده كان أبوه هو المعلم وحده. علمه مبادئ العقيدة الإسلامية، ثم موجزا من سيرة النبي صلى الله عليه وسلم، ثم مبادئ علوم الآلة من النحو والصرف. وحفظ متن ألفية ابن مالك أقل من سنة كاملة.

وبعد انقضاء المرحلة الابتدائية التحق بجامع منجك عند الشيخ حسن حبنكه الميداني وأتمه هنالك في عام 1953 م، ويتحدث الشيخ عن هذه المرحلة بالقول:
أقبل إلي ذات يوم قبل أن يمضي بي فيسلمني أصغرَ تلميذ إلى شيوخ معهد التوجيه الإسلامي، ينصحنني ويحدثني عن آماله التي يعلقها علي وقال لي فيما قال: اعلم يا بني أنني لو عرفت أن الطريق الموصل إلى الله يكمن في كسح القمامة من الطرق، لجعلت منك زبالاً، ولكني نظرت فوجدت أن الطريق الموصل إلى الله هو العلم به وبدينه، فمن أجل ذلك قررت أن أسلك بك هذا الطريق. ثم شدد عليّ وأكد كثيراً، أن لا أجعل قصدي من دراسة هذا العلم أي شهادة أو وظيفة بعد أيام مضى بي إلى دار الشيخ حسن حبنكة رحمه الله، وتركني أمانة بين يديه وفي معهده، ومضى عائداً إلى شأنه . ومنذ ذلك اليوم انقطعت عن الدار، وأصبحت طالباً داخلياً في معهد التوجيه الإسلامي، وكنت أتردد على الدار لرؤية والدي أيام الثلاثاء فقط من كل أسبوع، أبقى عنده بياض ذلك النهار، حتى إذا أقبل المساء استأذنته عائداً على منجك.
كنت أشارك مع الطلبة الكبار في الجلوس إلى دروسهم التي يتلقونها من الشيخ دون أن أعي منهم إلا النزر القليل، ولكني تبينت بعد ذلك أن حضوري كان مفيداً ، وفي أيام الثلاثاء كنت أتلقي على والدي مزيداً من الدروس.. تلقيت عليه دروساً في النحو وفي البلاغة، وقد حفظت على يديه عقود الجمان للسيوطي، كما درست عليه كتباً في المنطق، والمقولات العشر، ودرست عليه شرح جمع الجوامع في الأصول (البوطي، 2006: 59).

ورغبه بعض أساتذته لحفظ القرآن وشجعوه، ولكن كان والده رحمه الله مع رغبته في ثواب قراءة القرآن وحفاظه يحذره عن إثم النسيان فيه. فتوقّف الشيخ سعيد عن حفظه. وبجانب ذلك كان الشيخ يقرأ القرآن كثيراً حتى أنه يختم القرآن ختمة في ثلاثة أيام. حتى استحکم بعض الآيات في ذهنه بدون التكلف عن التحفظ. ومع

ذلك كان الشيخ يتعلم علم الأدبية السليقة. ثم تزوّج الشيخ في ثمانية عشر من عمره. وله من الأولاد ستة ذكور وبنت واحدة (موقع نسيم الشام). وفي عام 1954 ذهب إلى القاهرة لاستكمال دراسته الجامعية في الأزهر. ويتحدث عن تلك المرحلة وخاصة عن تجربته الأدبية: ولما أنهيت دراستي الثانوية وشيئاً مما فوقها وتحولت إلى الأزهر لاستكمال دراستي الجامعية فيها، كنت أرسل من القاهرة في كل أسبوع مقالاً أدبياً أو اجتماعياً إلى جريدة الأيام التي كان يصدرها المرحوم نصح باييل تحت عنوان من أسبوع إلى أسبوع كان ذلك خلال عام 1954-1955 (البوطي، 2006: 63).

عاد لدمشق بعد حصوله على الإجازة في الشريعة من كلية الشريعة بالأزهر عام 1955، ثم حصل على دبلوم التربية من كلية اللغة العربية في الأزهر عام 1956، ثم عين مدرساً للتربية الدينية في حمص عام 1958، أصبح معيداً في كلية الشريعة بجامعة دمشق، فموفداً إلى القاهرة لنيل درجة الأستاذية (الدكتوراه) في الفقه وأصوله، وكانت أطروحته كتاب (ضوابط المصلحة في الشريعة الإسلامية) نال عليها مرتبة الشرف الأولى مع التوصية بالتبادل (أحمد بزر جمهر، 2014: 124).

وفي عام 1965م عين مدرساً في كلية الشريعة جامعة دمشق فأستاذاً مساعداً، فأستاذاً. وعُين في عام 1975م وكيلاً للكلية، ثم في عام 1977م عين عميداً لها، ثم رئيساً لقسم العقائد والأديان. وقد بقي هذا الشيخ الكريم محاضراً حتى آخر لحظة من حياته بوصفه متقاعداً ومتعاقداً مع الجامعة. وفي خلال هذه الفترة وحتى عام 1981 كان بعيداً عن المحافل العامة، ومكتفياً بالحقل الأكاديمي بالإضافة إلى درسين أسبوعيين في مسجد السنجدار يستقطب الكثير من شباب دمشق وما

حولها، ثم انتقل بسبب ضيق المكان إلى مسجد تنكر فمسجد الإيمان ، وما زالت دروسه قائمة فيه حتى اليوم بفضل الله تعالى، ودروس أخرى في مسجد والده الشيخ ملا رمضان البوطي والجامع الأموي، ومن أبرز هذه الدروس شرحه للحكم العطائية (أحمد بزر بزر، 2014: 125).

كان الشيخ محمد سعيد رمضان البوطي رجلاً شغولاً لا يضيع من عمره شيئاً. فكان يدور بين العلم والسياسة والاجتماع والشغل الكثيرة. اشترك هذا الشيخ الكريم في عشرات المؤتمرات العالمية في البلاد العربية والإسلامية وغيرها وهو عضو في المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية ومشاكل الأمة خصوصاً الإسلامية في الأردن (البوطي، 2002: 7).

3. مواقفه

كان الشيخ محمد سعيد رمضان البوطي كثير الكلام والبحوث عن الشبهات والمشكلات المعاصرة التي تتوجه حول الإسلام وشرائعه فهو مدافع جهدي عنه. وتتابع آراءه تتابع طول عمره وحياته في هذه الدنيا ولقد هم الباحث أن يذكر أنموذجاً منها ليكون كالتمثال الواضح أمام الباحثين عنه.

فعند بحث السلفية، ذهب الشيخ محمد سعيد رمضان البوطي أن السلفية مرحلة زمنية ليست مذهباً معيناً، وإنما يكون اتباع السلف من العلماء باستقراء أصولهم، وقد ذهب إلى أن الاقتداء بالسلف ليس معناه اتباع آرائهم وأقوالهم ومواقفهم التي اتخذوها وسلوك طريقتهم وإنما يكون بالرجوع إلى ما احتكموا إليه من قواعد تفسير النصوص وتأويلها وأصول الاجتهاد والنظر في المبادئ والأحكام (البوطي، 1988: 226).

وأما موقف الشيخ البوطي عن ابن تيمية فقال الشيخ إن ابن تيمية له موقف مضطرب في علم الكلام، وهو يحذر عن علم الفلسفة ولكنه سلك في منواله حتى أوقعه في مخالفته لجمهور أهل السنة والجماعة عند البحث عن أن الأشياء تكمن قوى مودعة من الله سبحانه (البوطي، 1988: 158-184).

وموقف الشيخ البوطي عن تلميذ ابن تيمية يعني ابن قيم الجوزية فأشبع رحمه الله في كتابه اللامذهبية أخطر بدع تهدد الشريعة الإسلامية أن ابن قيم رجل عجيب في فكره وكلامه عن حرمة التقليد فتارة يحرمه بالأدلة الطويلة وتارة يوجبه بلا بيان طويل ومع ذلك هو يذم على من لا أهل له في الاجتهاد أن يعمل بلا إفتاء مجتهد (البوطي، 2005: 81-82).

وبجانب ذلك كله، لقد تحدث الشيخ سعيد البوطي عن المرأة أو ما يسمى بمساواتها للرجل في الجنس عند الإسلام وأكثر في كلامها بل كاد الكتب التي فيها البحث عن المرأة يبلغ إلى خمسة أو ستة كتب، منها ما يسمى بالمرأة بين طغيان النظام الغربي ولطائف التشريع الرباني.

وتحدث أيضا عن التفسير الحادث الذي كتبه الدكتور مصطفى محمود الذي يقول إن سر الإغراء في عرض ما يتعري من الجسد مثلا إنما هو في دلالته على الخفي منه، فإذا مضت مدة من الزمن على الحد الفاصل بينهما ضعفت الصلة بينهما أمام الأبصار فحُف أثر الإغراء ويكون ذلك هو الدافع إلى التلاعب بالحد وزيادة نسبة العري. وعلاج هذه النظرية إنما يكون باجتناح الجرثومة من أساسها. وليس هذا القول بجديد أصلا (البوطي، 1984: 170).

ولا يجب أيضا هذا الشيخ في استعمال لفظ الديمقراطية بدل الشورى لعدة فرق كتبها منها أن الشورى لفظ قرآني ينبني فوقه الشرائع الإسلامية على حين أن

الديمقراطية لفظ يوناني يبعدنا عن الله وشرائعه. وأن الشورى مبناه على العدل والميزان واستيفاء العلم الشرعي والديمقراطية لا تكون إلا اتباع أهواء كثير ممن خلق (البوطي، 2007: 105).

4. الشيخ محمد سعيد رمضان البوطي بين مادحيه وناقديه

وبعد عام 1985م ربطت بينه وبين الرئيس الراحل حافظ الأسد علاقة شخصية عندما طلب الرئيس اللقاء بالدكتور البوطي إثر قراءته لبعض كتبه. وأصبح يستدعيه بين الحين والآخر في جلسات طويلة (موقع نسيم الشام المأخوذ 1 مايو 2016 ساعة 19:07).

قال بعضهم علماء السنة مثل الشيخ محمد سعيد رمضان البوطي (عبد القادر بن شيبه الحمد، 1974: 22)، ولكن قال الآخر وندعو الأستاذ الرفاعي وزميله البوطي، إلى الرجوع إلى الحق، فالرجوع إلى الحق خير من التماذي في الباطل، والله يتوب على من تاب (عبد المحسن البدر، 2000: 28).

وقال ناصر الدين الألباني افتري علينا الدكتور البوطي في كتابه فقه السيرة (ص354) فقال ما نصه: (فقد ضل أقوام لم تشعر أفئدتهم بمحبة رسول الله، وراحوا يستنكرون التوسل بذاته بعد وفاته...) كلا ثم كلا، فنحن ولله الحمد من أشد الناس تقديراً لرسول الله وأكثرهم حباً له، واعتراضاً بفضله وإن دل هذا الكلام على شيء فإنما يدل على الحق الأعمى الذي يملأ قلوب أعداء الدعوة السلفية على هذه الدعوة وعلى أصحابها، حتى يحملهم على أن يركبوا هذا المركب الخطر الصعب، ويقتربوا هذه الجريمة البشعة النكراء، ويأكلوا لحوم إخوانهم المسلمين، ويكفروهم دونما دليل، اللهم إلا الظن الذي هو أكذب الحديث، كما قال النبي الأكرم ولا أدري كيف سمح هذا المؤلف الظالم لنفسه أن يصدر مثل هذا الحكم الذي لا يستطيع

إصداره إلا الله عز وجل، المطلع وحده على خفايا القلوب ومكونات الصدور، ولا تخفى عليه خافية (ناصر الدين الألباني، 2001: 21).

5. مؤلفاته

ألف الشيخ محمد سعيد رمضان البوطي عديدا من الكتب العلمية، وقد ظفر الباحث أكثره فيبين مجمل ما فيه قدر الإمكان بعد الدرس المتواضع، وهو ما يلي:

(1) **أدب الحوار في كتاب الله عز وجل** ، بحث فيه الشيخ محمد سعيد رمضان البوطي عن مستند الحوار في القرآن ومنهج الحوار في القرآن ونماذج من الحوار القرآني، وهذا الكتاب مطبوع بنحول القمة للنشر والتوزيع في دمشق بدون السنة.

(2) **الجهاد كيف نفهمه وكيف نمارسه** ، بيّن فيه الشيخ عن غلط كثير ممن انحرف في فهم الجهاد ويقول إن ما يسمى بالجهاد في سوريا اليوم قد يلتبس بالإرهاب وبالبغاة. وهذا الكتاب مطبوع سنة 1993، من دار الفكر بدمشق.

(3) **الإنسان مسير أم مخير؟** ، هذا كالجواب عن مسائل اختيار العبد عند أهل السنة، بدأ فيه الشيخ البوطي ببيان مسألة التقدير وحقيقته. فبين أن التقدير ليس فيه إجبار لأفعال الإنسان كلها بل التقدير هو علمه تعالى بما كان وما يكون من الوقائع. وبهذا البيان، يتضح غلط من زعم أن السني يشكل عليهم في أمر القضاء والقدر وأفعال العبد. وهذا مطبوع بدار الفكر أيضا من دون تحديد سنته.

(4) **الإسلام والعصر تحديات وآفاق** : حوارات لقرن جديد ، هذا يتضمن على الحوار بين الشيخ محمد سعيد رمضان البوطي والشيخ طيب التيزيني بين الإسلام وتحديات العصر، فمثلا عن الديمقراطية والسوسيولوجية وغيرها، حرره عبد

الواحد علواني بعنوان حوار لقرن جديد الإسلام تحديات وآفاق، مطبوع بمكتبة الأسد سنة 1998.

(5) السلفية مرحلة زمنية مباركة لا مذهب إسلامي ، بين فيه الشيخ البوطي خطأ من يظن أن السلف هو المذهب الإسلامي والحال أنه اتباع في العلم والفكر والعمل دون التمذهب، فالتمذهب بالسلفية هي البدعة، مطبوع بدار الفكر دمشق سنة 1988.

(6) هكذا فلندع إلى الإسلام، وهذا الكتاب مطبوع في مؤسسة الرسالة بمكتبة الفارابي بدون السنة، بين فيه الشيخ البوطي عن الشروط الأولية في الدعوة ومنطلقات الدعوة ومنهج الدعوة ومشكلات الدعوة والأخلاق أو الآداب التي ينبغي أن تراعى لكل داع.

(7) رواية ممو زين ، هذا كتاب أدبي عن الحب الذي نبت في الأرض وأينع في السماء، الحب فيه رضا الله وحبه تعالى، الحب لا يلتبس بالشهوات والنفوس بل مجرد عطاء وفضل يؤتيه من يشاء. مطبوع بدار الفكر دمشق بدون السنة.

(8) هذا والدي، هذا كالترجمة الوافية لوالدي ملا رمضان البوطي، بل لنفسه أيضاً، وهذا الكتاب الأساسي في مرجعي ومأخذي عن ترجمته. فذكر فيه الشيخ عن رحلاته العلمية وسلوكاته العملية مع بيان جوانب أبيه من التعليمات لأولاده فرحمهما الله تعالى. مطبوع بدار الفكر دمشق سنة 1994.

(9) الإسلام ملاذ كل المجتمعات الإنسانية ، مطبوع بدار الفكر دمشق سنة 1984. بين الشيخ البوطي أن الإسلام لا بد من العبودية لله جل جلاله، ثم كشف عن المشكلات الدينية والأفكار المعاصرة مثل فلسفة الحرية، والمشكلات حول القرآن من لون التفسير الحادث، ومشكلات الاتباع والابتداع وأنه ليس كل جديد بدعة، والمشكلات في التاريخ والاجتماع وأن مشكلاتنا اليوم ليست ثقافي ولا حضارية بل أخلاقية.

10) فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة ، دراسة جديدة

في جانب التاريخ الإسلامي، كيف؟ لأنه نظر عن التاريخ بالتحليل الفقهي، فاستنبط الشيخ البوطي الأحكام الشرعية الفقهية العملية ضوء هذه السيرة المباركة، فمثلا عندما بيّن الشيخ عن الجهاد واعزال الصحابة في الأسفار عن زوجاتهم حتى نكحوا متعة وعزلوا فنظر البوطي عن حكم العزل بسؤال الصحابي الجليل جابر رضي الله عنه. مطبوع بدار الفكر لبنان سنة 1991.

11) مدخل إلى فهم الجذور ، هذا الكتاب كالوقفة في فكر شخصيتنا فيلإ أين نحن

ولماذا خلقنا وعلى أي شيء نحيا؟ فأجاب هذا إجابة شافية يتضح لنا مهمة حياتنا. وهذا الكتاب مطبوع بدار الفكر دمشق بدون ذكر السنة.

12) مسألة تحديد النسل وقاية وعلاجاً ، كتاب شرح فيه الشيخ البوطي عن حكم

تحديد النسل من التفصيل بين ما يكون قاطعا للنسل وإبطاء له فيكون الأول حراما والثاني مكروها. وأعطى الشيخ علاجاً وخلاصاً في دفعه. وهذا الكتاب مطبوع بمكتبة الفارابي عام 1976.

13) دفاع عن الإسلام والتاريخ ، وهو رد على بعض ما جاء في الكتاب (التاريخ

العباسي) للأستاذ شاكراً مصطفى، مطبوع بدار الفكر دمشق بدون السنة، بحث الشيخ البوطي عن البيانات المزيفة والمغلطة مثل كلمة (الموالي) التي أصلها بمعنى من فيه صفة الرق ثم نقل إلى المعنى الأوسع وهو غير العربي فيثير الحقد والبغض على العرب.

14) في الحديث الشريف والبلاغة النبوية ، مطبوع بدار الفكر دمشق عام

2011. بحث فيه الشيخ البوطي عن أسلوب الحديث النبوي وامتيازه عن القرآن الكريم. فمن فنون الحديث كونه حكماً أو جوامع الكلم، والأمثلة المقربة والوصايا والأحكام أو الخطب والكتب التي أرسلت إلى الملك.

15) من سنن الله في عبادته، كتاب كشف عن سنن الله في هذا العالم، فذكر البوطي أن القوم لا يهلكهم الله تعالى ما داموا على الإحسان بينهم ولو كانوا كفارا. وكذا سنن الله الآخر. وهذا الكتاب مطبوع بدار الفكر دمشق عام 2011.

16) حرية الإنسان في ظل عبوديته لله ، مطبوع بدار الفكر المعاصر لبنان، عام 1992. وضع الشيخ البوطي أن كثيرا من الناس يزعمون أن العبودية صفة عالية قل من يدركها والحال أن العبودية هي صفة ذل وانكسار أمام قدرة الله وهذا لا فرق بين العالم والجاهل إلا أنه قل من له إحساس فيها.

17) الله أم الإنسان أيهما أقدر على رعاية حقوق الإنسان؟ ، هذا الكتاب مطبوع بدار الفكر دمشق عام 1998، بحث فيه الشيخ البوطي عن نظرية المساواة بين الرجال والنساء سواء كانت المساواة في الاقتصاد والاجتماع والسياسي والشرعي.

18) اللامذهبية أخطر بدعة تهدد الشريعة الإسلامية ، ذكر فيه الشيخ البوطي عن خطر عدم التقليد على العلماء الفقهاء بزعم وجوب أخذ الأحكام من القرآن والحديث، وفي هذا الكتاب سرد الشيخ عن جداله مع الشيخ الألباني. وهذا الكتاب مطبوع بدار الفكر دمشق عام 2005.

19) ضوابط المصلحة في الشريعة الإسلامية ، كتاب حاصل الدكتوراة في الجامعة الأزهر في كلية أصول الفقه، فبين الشيخ البوطي أن الشرائع الإسلامية كلها لها مصلحة ظاهرة أو خفية فلا يقال إن الشرائع تتبع المصلحة بل يقال إن في الشرائع كلها مصالح للأمة. وهذا الكتاب مطبوع بدار الفكر دمشق عام 1965.

20) قضايا فقهية معاصرة، نظر فيه البوطي إلى المشكلات الفقهية المعاصرة خصوصا في علم المعاملات فطلب الفرق بين الجهد الإسلامي في التبائع مثلا والجهد المادي. وكذا نظر البوطي إلى أن الفقه الذي قال عنه المستشرقون من أنه منتج الفقهاء والعلماء هو القول لا طائل تحته. وهو مطبوع بدار الفكر دمشق عام 2002.

21) محاضرات في الفقه المقارن ، وهذا الكتاب مطبوع بدار الفكر المعاصر لبنان عام 1981. ذكر فيه الشيخ سعيد رمضان قواعد الأصول الفقهية وأثر اختلاف العلماء فيها، مثلاً عن دلالة اللفظ العام هل هي قطعية أم ظنية؟ فيها خلاف بين الشافعية والحنفية.

22) مع الناس مشورات وفتاوى ، كتاب فيه الإنتاجات الفقهية والقضايا المعاصرة المتجهة على الشيخ البوطي من السؤالات الواردة عليه رحمه الله. وهذا الكتاب مطبوع بدار الفكر دمشق بدون السنة.

23) هذه مشكلاتهم، مطبوع بدار الفكر دمشق بدون السنة، وهذا الكتاب جواب عن الأسئلة والمشكلات التي وجهت من المستشرقين والغربيين على الإسلام وشرائعه، مثلاً عن موقف الإسلام في المرأة والرق والتسري وتعدد الزواج وغيرها من المسائل المتجهة على الإسلام.

24) هذه مشكلاتنا، بحث الكتاب عن مشكلة الجدلية ومشكلة ما يسمى بالثواب والمتغيرات ومشكلة الانشغال عن الدعوة بأحوال المجتمع الإسلامي ومشكلة الوجود الإسلامي في نظام العالمي الجديد ومشكلة المعرفة وعلاجها في حياتنا المعاصرة ومشكلة العلاقة بين العلم والدين ومشكلة الثقافة الإسلامية ومشكلة العلوم الإنسانية في جامعتنا الإسلامية. وهذا الكتاب مطبوع بدار الفكر دمشق عام 1994.

25) من الفكر والقلب، هذا الكتاب كالمختصر لجميع أفكار الشيخ البوطي فبحث فيه عن علم الكلام والفقه والتصوف بل وعن شبهات معاصرة حول الإسلام ودراسته. وهذا الكتاب مطبوع بدار الفكر دمشق عام 1997.

26) نقض أوهام المادية الجدلية ، وهذا الكتاب مطبوع بدار الفكر دمشق عام 1985، وهذا الكتاب بحث عن الفكر الديالكتيكي وتطوره وهو عبارة عن الفكر اللا ديني.

27) المرأة بين طغيان النظام الغربي ولطائف التشريع الرباني ، وهذا الكتاب

مطبوع بدار الفكر المعاصر لبنان بدون السنة، وهذا جواب عما ينتشر من
السؤالات والمشكلات حول المرأة عند الميزان الإسلامي فكان بين التسهيل
والتعسير وكان بين ذلك قواما.

28) التعرف على الذات هو الطريق المعبود إلى الإسلام ، بحث فيه البوطي عن

نظام الحكم الإسلامي وموجبات عزل الإمام ومشاكل تتوجه على الإسلام مثل
حقوق الناس والحرية للمرأة، وهذا الكتاب مطبوع بدار الفكر دمشق عام 2008.

29) المذاهب التوحيدية والفلسفات المعاصرة ، بحث فيه الشيخ البوطي عن علم

الكلام وتعريفه وتاريخ تطوره ومذاهب العلماء فيه، ثم ذكر عن أسباب وجود
الفرق الإسلامية، وختمه بذكر العلمانية والاستشراقية. وهذا الكتاب مطبوع بدار
الفكر دمشق عام 2008.

30) لا يأتيه الباطل : كشف لأباطيل يخلقها ويلصقها بعضهم بكتاب الله عز

وجل، كتاب في الفكر عن القرآن والشبهات حوله، فمثلا في البحث عن تواتر
القرآن الذي قد يزعم المستشرقون عدمه فأجابه بأنه قول لا سند فيه ولا دليل،
وكذا سائر الشبهات. وهذا الكتاب مطبوع بدار الفكر دمشق عام 2007.

31) منهج الحضارة الإنسانية في القرآن ، بين فيه الشيخ البوطي عن مفهوم

الحضارة وعناصرها وتحميل القرآن الإنسان في مسؤوليات بناء الحضارة، وهذا
الكتاب مطبوع بدار الفكر دمشق بدون السنة.

32) من روائع القرآن الكريم ، هذا الذي كتب الباحث عنه وهو يمثل عن منهج

الشيخ البوطي في التفسير وفكره ولكن لا يستوعب الأجزاء كلها من القرآن بل
إنما وضعه كالأساس للقارئ وسيشرح ويحلل الباحث فيه. وهذا الكتاب مطبوع
بدار الفكر دمشق عام 1999.

33) **الحكم العطائية شرح وتحليل** ، شرح الشيخ محمد سعيد البوطي متن الحكم لابن عطاء الله السكندري، ويظهر الشيخ أن التصوف لا يعارض مع الفقه والعلم المعاصر والكلام، بيد أنه يقوي علومه أخرى. وهذا الكتاب مطبوع بدار الفكر دمشق عام 1991.

34) **مشورات اجتماعية** ، وهذا الكتاب مجموع فتاوي الشيخ محمد سعيد رمضان البوطي حول الطهارة والعبادة والمعاملة والأطعمة والقضايا المعاصرة والاجتماع والأخلاق وغيرها. وهذا مطبوع بدار الفكر المعاصر لبنان عام 2001.

35) **يغالطونك إذ يقولون** ، أسلوب حوار يكتشف عن مغالطات خطيرة في موضوعات هامة مثل قضايا العلمانية التي قيل إنها حل لمشكلاتنا اليوم وأن التقديس يعوق الحرية والتقدم في الحضارة وغيرها، وهذا الكتاب مطبوع بدار الفكر عام 2010.

36) **أوربة من التقنية إلى الروحانية** ، وهذا الكتاب بحث عن مشكلة الجسر المقطوع في نظرية النشوء وأجوبتها. وهذا الكتاب مطبوع بدار الفكر المعاصر لبنان بدون السنة.

37) **كبرى اليقينيّات الكونية** ، كتاب في التوحيد والكلام على مذهب الإمام الأشعري. وهذا الكتاب مطبوع بدار الفكر دمشق 1997.

38) **شخصيات استوقفتني** ، ذكر الشيخ فيه العلماء الذين لهم مواقف ومذاهب يعجب الشيخ فكانوا من الذين يشهقون الشيخ محمد سعيد رمضان البوطي، فمنهم التابعي المشهور عبد الله بن المبارك ومنهم العالم في الأصبايا بديع الزمان سعيد النورسي. وهذا الكتاب مطبوع بدار الفكر دمشق عام 1999.

39) **الإسلام والغرب** ، بين فيه الشيخ البوطي عن الشبهات حول نظام الإسلام والعدو الأول له، والفرق بين الشورى الإسلامية والديمقراطية الغربية، وبيان سبب تطور العلمانية وعلاجه، وهذا الكتاب مطبوع بدار الفكر دمشق عام 2007.

40) **الحب في القرآن**، ذكر فيه الشيخ البوطي عن معنى الحب وحقيقته واستعمال القرآن له، وأنه لا معارضة بين الحب لله تعالى والمعصية لأنه صدر من الصحابي الجليل وهو نعيمان الأنصاري شرب الخمر المحرمة ومع ذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم (فإنه ممن يحب الله ويحبه الله). وهذا الكتاب مطبوع بدار الفكر دمشق عام 2011.

41) **مجمل الشبهات التي تثار حول تطبيق الشريعة الإسلامية في العصر الحديث**، وهذا الكتاب مطبوع بالكويت عام 2002. بحث فيه الشيخ البوطي عن الشبهات والأسئلة المتجهة حول الإسلام كما في شريعة القصاص والرجم وقطع اليد وأبرز حكم هذه الأحكام بالبيان الشافي للمقريء.

42) **العقوبات الإسلامية وعقدة التناقض بينها وبين ما يسمى بطبيعة العصر**، مطبوع بالكويت عام 2002، سرد الشيخ البوطي بأن ادعاء التناقض بينما لا يكون إلا مجرد الادعاء الموهوم لا حقيقة يعمل فيها.

43) **العناية بالعبادات أساس لا بد منه لتثبيت المجتمع الإسلامي**، ذكر فيه الشيخ البوطي عن أهمية العبادات في بناء المجتمع الصالح وأثر العبادات في تصعيد الروحانية وأثرها في الجوانب السياسية والاجتماعية والاقتصادية. وهذا الكتاب مطبوع بإدارات البحوث والمعلومات في كويت عام 2002.

44) **إلى كل فتاة تؤمن بالله**، مطبوع عام 1975 بدار الفكر دمشق. وهذا الكتاب كالرسالة المخصصة على المسلمات كي لا تحزن على تطبيق الشريعة الإسلامية خصوصاً في مسألة الحجاب المتجه بالشبهات والسؤالات حوله.

45) **الإسلام ومشكلات الشباب**، ذكر فيه الشيخ البوطي أن السبب القوي والعامل الراجح في تأخر شباننا هو ما يسمى بمشكلات الشباب ومردّها إلى البيئة السليمة والبيئة الفاسدة، وهذا الكتاب مطبوع بدار الفكر دمشق عام 1394.

46) الإمام الغزالي ذو فكر منهجي فذ واختصاص علوم شتى، عجب فيه الشيخ البوطي عن تبحر الغزالي في علومه من الكلام والفقه والتصوف وغيرها، وأن الغزالي بين المادحين والناقدين كمثل الغازي يقتل كفارا فتلوث بالدم فيدخل المسجد ورأى الجماعة أثر الدم متلطخة بعنقه وثيابه فأنكروه فنعم المنكر والمنكر عليه وإنما هو على سرر متقابلين عند ملك مقتدر، وهذا الكتاب مطبوع عام 1982 بدار الفكر دمشق.

47) باطن الإثم الخطر الأكبر في حياة المسلمين، ذكر فيه الشيخ البوطي عن أهمية إصلاح النفوس بجانب ما في الظاهر والخارج. وهذه الطريقة ما سلك فيه بديع الزمان سعيد النورسي. وهذا الكتاب مطبوع بدار الفكر دمشق بدون السنة. وقد بقي من عدة كتب الشيخ محمد سعيد رمضان البوطي ورسائله لم يظفر بها الباحث لقصور بحثه فنعم الشيخ وأسكنه الله تعالى في أفسح جنانه.

ب. بنية تفسير الشيخ محمد سعيد رمضان البوطي في الكتاب من روائع القرآن:

تأملات علمية وأدبية في كتاب الله عز وجل

سمى الشيخ محمد سعيد رمضان البوطي كتابه هذا بـ(من روائع القرآن:

تأملات علمية وأدبية في كتاب الله عز وجل)، ويظهر من هذه التسمية يعني استعماله بمن حرف الجار للتبعية أن الشيخ لم يصنف تفسيراً كاملاً في أكثر من مجلد. بل يسرد بعضاً وأ نموذجاً من تفسير القرآن وقصده توضيح بعض ما ينطوي عليه الكتاب من روعة البيان وإعجازه، ويعتذر هذا الشيخ بقوله:

هذه تأملات علمية وأدبية سريعة في كتاب الله تعالى، أردت أن أوضح من ورائها بعض ما ينطوي عليه هذا الكتاب من روعة البيان وإعجازه، ومدى تأثيره في مختلف العلوم التي تزخر بها المكتبة العربية اليوم، مما لا بدّ للأديب ودارس العربية من الوقوف عليه. وهي كما قلت، لا تزيد على أن تكون تأملات ... فلم أقصد منها استقصاء لبحث، ولا تحقيقاً جامعاً لفن، ولو قصدت إلى ذلك لضاقت بي السبل واستعصى عليّ البحث، ولاحتاج الأمر إلى مجلدات واسعة عظيمة، وأنى لمثلي أن يأتي بتحقيق جامع لفنون هذا الكتاب المبين، أو أن يستقصي البحث في آدابه وبلاغته وعلومه؟! وإنما الذي قصدت إليه، هو أن أنال رشفة من بحر هذا البيان الإلهي، وقبضة من كنز علومه، أمتّع بهما خاطر والنفس، وأسعد بهما الفكر والخيال (البوطي، 1999: 13).

هذا، وقد تمنى الشيخ محمد سعيد رمضان البوطي أن يتاح له من الوقت ما

يسمح في بحوثه والتعمق في دراساته، بالقدر الذي يتفق مع روعة القرآن وعمق مراميه ودقة بيانه. ولكنه على يقين بأن الزمن كله أضيق من أن يتسع لشرح يتكافأ مع عظمته لأن الإحاطة بأسرار هذا الكتاب وجوانب إعجازه أمر عسير بل

مستحيل تقف دونه قدرات البشر جميعا، غير أن ما لا يدرك جله لا يترك كله. والمهم من دراسة الإعجاز القرآني أن يصل منها القارئ إلى ما يدرك معه أن صياغة هذا الكتاب ليست من شأنه أن يخضع للطاقة الإنسانية وأن معانيه ليست مما قد يأتي بمثله الفكر الإنساني (البوطي، 1999: 5-7).

وأما الهدف من كتابة هذا التفسير فيبين هذا الشيخ الكريم بقوله: ولقد انتهى الضعف بطلاب العربية وعلومها في عصرنا إلى حدّ لا يكادون يستطيعون التعرّف فيه على شيء من هذه الكتب أو الأمّهات القديمة، ولا يكادون يملكون صبرا على قراءتها أو تصفحها، ويبدو أننا (ويا للأسف) لم ندرك بعد سرّ هذه الغاشية ولا علاجها. فمن أجل كل ذلك اضطررت إلى أن أكتب بضع صفحات في هذا الفن، أتيّم فيها حاجة الأدب العربي وكفايته، واستهدف من ورائها أن يتذوق طلاب العربية هذا السموّ الرائع في البيان القرآني، تذوقا جيدا. فإنهم إذا تذوقوه طربوا له، وإذا طربوا له أقبلوا إليه قراءة وفهما، وإذا أقبلوا إليه بهذا الشكل، استقامت ألسنتهم وتخلصت من عوج العاميّة ورطانتها وتذوقوا الأدب العربي في كل فروعه وجوانبه (البوطي، 1999: 15).

وقد قسم الشيخ محمد سعيد رمضان البوطي هذا الكتاب بعد المقدمة والتمهيد إلى ثلاثة أقسام:

(القسم الأول) يتناول خلاصة لتاريخ القرآن وعلومه وهي تشمل أنواعا: منها القرآن: فيبحث عن تعريفه وحقيقته، ومنها نزول القرآن منجّما والحكمة من ذلك، ومنها أسباب النزول، ومنها كيفية جمع القرآن وكتابته، ومنها رسم القرآن، ومنها الأحرف السبعة: خلاصة جامعة عنها، ومنها القراءات والقراء: يبحث عن

لمحة دراسية عنها ، ومنها المكّي والمدني ، ومنها التفسير: نشأته وتطوره ومذاهبه ، ومنها المبهم والمتشابه في القرآن.

(القسم الثاني) يتناول دراسة موجزة لمنهجه وأسلوبه، وتشمل هذه الدراسة على أسلوب القرآن بنظرة عامة فيه ثم دراسة لخصائصه ، وعلى إعجاز القرآن ببيانه ودليله ووجوهه، وعلى موضوعات القرآن وطريقة عرضه لها بدراسة مختصرة سريعة ، وعلى التصوير في القرآن عن مظهره ووسائله، وعلى الأمثال في القرآن، وعلى القصة في القرآن من أغراضها ومنهجها، وعلى المنهج التربوي في القرآن ، وعلى النزعة الإنسانية في القرآن، وعلى فلسفة القرآن عن الكون والإنسان والحياة، ويبحث أيضا هل من الممكن ترجمة القرآن؟

(القسم الثالث) يتناول نماذج من النصوص القرآنية في بعض موضوعاته تتبعها بشرح أدبي مركّز، يكون تطبيقا للدراسات النظرية التي تناولها أبحاث القسم الثاني، ومثالا يحتذى القارئ في شرح بقية آي الكتاب الكريم، مستعينا على ذلك بالرجوع إلى مختلف تفاسير الكتاب الكريم. وقد اختار خمسة نصوص من الكتاب المبين للدراسة التطبيقية، وأراد أن يكون كلّ منها نموذجا لموضوع معين من الموضوعات القرآنية. فاختر نصّا في الإلهيات من سورة الرعد من آية 8 إلى آية 14، وآخر في الوصف من سورة غافر من آية 10 إلى آية 20، وثالثا في المبادئ والإنسانيات من سورة الإسراء من آية 23 إلى آية 29، ورابعا في القصص من سورة هود من آية 35 إلى آية 49، وخامسا في الحجاج والنقاش من سورة النمل من آية 59 إلى آية 66.

ويظهر من النماذج الآتية أن الباحث إنما ينظر في الأنموذج الثالث وهو

البحث عن المبادئ والإنسانيات من سورة الإسراء من آية 23 إلى آية 29.

ومصدر الشيخ محمد سعيد رمضان البوطي في التفسير داخل في التفسير بالمعقول أو التفسير بالرأي، وذلك لأنه استعمل في كثير من كتبه العقل لاستنبط معاني القرآن ومناسبته بما بين الآيات والتصوير الفني بل أوضح الشيخ أهمية العقل والمنطق في فهم القرآن. فألف الشيخ البوطي كتابا سماه (أدب الحوار في كتاب الله) حيث بين الشيخ أن المستند الذي ينطق منه الحوار القرآني هو الاحتكام الدائم إلى موازين المنطق والعلم. ولا يفرق القرآن والفلسفة الإسلامية بين ما يسمى العلم (Science) والمعرفة (Knowledge) عند الغرب (البوطي، بدون السنة: 6).

وظهرت هذه النزعة العقلية في كثير من مواد تفسيره في الكتاب من روائع القرآن. ففي القسم الثاني من هذا الكتاب، جعل الشيخ البوطي في بيان منهجه وأسلوبه. ففي مسألة الأسلوب، ذكر الشيخ البوطي أن الخاصّة الأولى (جريانه على نسق بديع خارج عن المألوف)، ذلك أن جميع الفنون التعبيرية عند العرب لا تعدو أن تكون نظما أو نثرا؛ وللنظم أعاريض وأوزان محددة معروفة، وللنثر طرائق من السجع والإرسال وغيرهما مبيّنة ومعروفة. والقرآن ليس على أعاريض الشعر في رجزه ولا في قصيده، وليس على سنن النثر المعروف في إرساله ولا في تسجيعة، إذ هو لا يلتزم الموازين المعهودة في هذا ولا ذاك، ولكنك مع ذلك تقرأ بضع آيات منه فتشعر بإيقاع موزون من تتابع آياته، بل يسري في صياغته وتآلف كلماته، وتجد في تركيب حروفه تناسقا عجيبا، بين الرخو والشديد، والمجهور والمهموس، والممدود والمقطوع، بحيث يؤلف اجتماعها إلى بعضها لحنا مطربا يفرض نفسه على صوت القارئ العربي كيفما قرأ، إذا كانت قراءته صحيحة.

فلنعرض لك تلك الآيات التي تلاها النبي صلى الله عليه وسلم على عتبة بن أبي ربيعة، يوم جاءه رسولا من قبل قريش يعرضون عليه الملك والمال والزعامة

على أن يتخلى عن دعوتهم إلى توحيد الله: بسم الله الرحمن الرحيم. حم تَنْزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ. بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ. وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنَكَ حِجَابٌ فَاغْمَلْ إِنَّا نَحْمِلُونَ. قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ (البوطي، 1999: 112).

الخاصة الثانية (جريانه على مستوى رفيع واحد على الرغم من تنوع المعاني والموضوعات)، وبيان ذلك أن المعنى الذي يراد عرضه، كلما كان أكثر عموماً وأغنى أمثلة وخصائص، كان التعبير عنه أيسر وكانت الألفاظ إليه أسرع، وكلما ضاق المعنى وتحدد ودق وتعمق، كان التعبير عنه أشق وكانت الألفاظ من حوله أقل. ومهما رأيت بليغا كامل البلاغة والبيان، فإنه لا يمكن أن يتصرف بين مختلف الموضوعات والمعاني على مستوى واحد من البيان الرفيع الذي يملكه، بل يختلف كلامه حسب اختلاف الموضوعات التي يطرقها، فرمما جاء بالغاية من البراعة في معنى من المعاني، فإذا انصرف إلى غيره انخزل عن تلك الغاية ووقف دونها. غير أنك لا تجد هذا التفاوت في كتاب الله تعالى، فأنت تقرأ آيات منه في الوصف، ثم تنتقل إلى آيات أخرى في القصة، وتقرأ بعد ذلك مقطعا في التشريع وأحكام الحلال والحرام، فلا تجد الصياغة خلال ذلك إلا في أوج رفيع عجيب من الإشراق والبيان. وتنظر فتجد المعاني كلها لاحقة بها شاحنة إليها (البوطي، 1999: 114).

الخاصة الثالثة (صلاحية صياغته لمخاطبة الناس عامة على اختلاف ثقافتهم وعصورهم) خذ آية من كتاب الله مما يتعلق بمعنى تتفاوت في مدى فهمه العقول، ثم اقرأها على مسامع خليط من الناس متفاوت في المدارك والثقافة، فستجد أن الآية

تعطي كلاً منهم من معناها بقدر ما يفهم، وأن كلاً منهم يستفيد منها معنى وراء الذي انتهى عنده علمه. ولسنا نقصد أن الآية تحتل بذلك وجهين متناقضين أو فهمين متعارضين، بل هو معنى واحد على كل حال، ولكن له سطحا وعمقا وجذورا يتضمنها جميعا أسلوب الآية. فالعامي من الناس يفهم منه السطح القريب، والمثقف منهم يفهم مدى معيناً من عمقه أيضاً والباحث المتخصص يفهم منها جذور المعنى كله.

قوله تعالى: تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجاً وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجاً وَقَمَراً مُنِيرًا، فهذه الآية تصف كلاً من الشمس والقمر بمعنيين لهما سطح قريب يفهمه الناس كلهم، ولهما عمق يصل إليه المتأملون والعلماء، ولهما جذور بعيدة يفهمها الباحثون المتخصصون والآية تحمل بصياغتها هذه الدرجات الثلاث للمعنى، فتعطي كلاً حسب طاقته وفهمه دون أن يكون أيّ تعارض بينهما. فالعامي من العرب يفهم منها أن كلاً من الشمس والقمر يبعثان بالضياء إلى الأرض، وإنما غاير في التعبير بالنسبة لكلّ منهما، تنويعاً للفظ. وهو معنى صحيح تدل عليه الآية. والمتأمل من علماء العربية يدرك من وراء ذلك أن الآية تدلّ على أن الشمس تجمع إلى النور الحرارة فلذلك سمّاها سراجاً، والقمر يبعث بضياء لا حرارة فيه؛ وهو أيضاً معنى صحيح تدل عليه الآية دلالة لغوية واضحة. أما الباحث المتخصص في شؤون الفلك فيفهم من الآية إثبات أن القمر جرم مظلم وإنما يضيء بما ينعكس عليه من ضياء الشمس التي شَبَّهها بالسراج بالنسبة له؛ وهو أيضاً معنى صحيح تدل الآية عليه بلغتها وصياغتها (البوطي، 1999: 116).

هذا كله رأي الشيخ محمد سعيد رمضان البوطي في أسلوب القرآن ويظهر هذه النزعة الأسلوبية في تفسيره عندما حللت الآيات القرآنية كما سيحلله الباحث

في الباب الرابع. بل إن الشيخ البوطي يحاول أن يفرق بين الأسلوب القرآني والأسلوب النبوي في الحديث، فألف الشيخ البوطي كتاباً سماه (في الحديث الشريف والبلاغة النبوية)، حيث ذكر أن الأساليب القرآنية تخالف الأساليب النبوية بأمور، منها طباعة البشرية في الحديث بذكر اعتراف النبي ببشريته. ومنها موقعه من القرآن موقع الشرح من المتن. ومنها خلوه عن خصائص الأسلوب القرآني المذكور آنفاً (البوطي، 2011: 32-37).

وأما موقف الشيخ البوطي في التفسير الموضوعي من القرآن فتجلى في كتاب ألفه وسماه (الحب في القرآن) حيث حلل الشيخ مسائل الحب بين الخالق والمخلوق وبين المخلوق بعضهم يحبون بعضاً وماهيته كي يكون هذا الكتاب دراسة باكورة عن الحب في القرآن الذي لا يمسه كتاب الأدباء والعلماء الفقهاء كما أقره (البوطي، 2011: 9-13).

وفي هذا التفسير يعني من روائع القرآن، ذكر الشيخ البوطي أنه تدور بحوث القرآن كلها على غرض رئيسي واحد، هو دعوة الناس كلهم إلى أن يكونوا عبيداً لله عزّ وجلّ بالفكر والاختيار كما خلقهم عبيداً له بالجبر والاضطرار، وكلّ ما في القرآن من موضوعات، متفرع عن هذا المقصد الرئيسي الأسمى. فهذا هو الموضوع الأول، وطريقة عرض القرآن له تقرير كليات العقيدة التي لا بدّ من الاعتقاد بها، من وحدانية الله عزّ وجلّ وبعث الناس بأرواحهم وأجسادهم يوم القيامة، والحساب والصراط والجنة والنار وما إلى ذلك، ثم عرض الأدلة على هذه الكليات، وأهمها وجود الله ووحدانيته بأسلوب يشترك في فهمه سائر أصناف الناس وطبقاتهم، ولذلك تراه ينبّه الناس إلى أدلة الكون وما يشيع فيه من دقة النظام وروعة الخلق وجمال التنسيق، دون أن يعرض لشيء من الأدلة المنطقية الفلسفية أو العلمية، وإذا

تأملت في معالجة القرآن لموضوع العقيدة، فإنك قلّما تجده يعرض للدليل على أصل وجود الله عزّ وجلّ.

والموضوع الثاني موضوع آخر هو: القصص، قصص الأمم الخالية وما آل إليه أمرها من الهلاك والدمار، وقصص كثير من الأنبياء الذي تعاقبوا على الدعوة إلى دين واحد، وكرروا إبلاغ الناس حقيقة واحدة لم يختلفوا عليها ولم يتفرعوا عنها في طرائق متعددة أو متباينة. وطريقة عرضه هي بالتكرار كقصة موسى وفرعون وقصة نوح وقصة خلق آدم. وبالاقتصار من حوادث القصة على ما يتعلق به الغرض. وبإقحام النصائح والعظات في ثنايا القصة. وبالعرض التصويري في القرآن. وقد أقر الشيخ البوطي أنه يتأثر بسيد قطب في هذه المسئلة وأقر أنه خير كتاب مؤلف في هذا الباب.

والموضوع الثالث هو: التشريع، وقد أوضح القرآن في عرضه لهذا الموضوع الأحكام المتعلقة بسائر المعاملات المدنية المختلفة، حيث قرر الأحكام المتعلقة بالبيع والإيجار والشركات وعامة العقود المالية وغيرها، وقرر الأحكام المتعلقة بمختلف الأحوال الشخصية من زواج وطلاق وميراث وسائر ما يتعلق بذلك من أحكام الأسرة، وتحدّث عن الجنايات والجرائم المختلفة وعقوباتها، وعمّا ينبغي أن تكون عليه علاقة المسلمين، كدولة، بالدول والجماعات الأخرى. والحاصل أن القرآن قد عرض لعامة ما يسمى اليوم بالقوانين المدنية الجنائية، والنظم الدستورية والإدارية، والقانون الدولي.

غير أن طريقة عرض القرآن لهذه النظم والأحكام، اختلفت إلى ثلاث طرق وذلك حسب اختلاف متعلقات تلك الأحكام. فمنها ما نصّ القرآن على حكمه بعبارة حاسمة واضحة منفصلة لا تعليق فيها ولا إبهام أو إجمال، وذلك مثل فريضة

الميراث وحقوق كل من الورثة في مال الموروث، ومثل عقوبات بعض الجرائم كالزنا والسرقة والقذف وجريمة القتل وقطع الطرق؛ ومثل كثير من مسائل الأحوال الشخصية. ومنها ما اكتفى ببيان حكمه من وجوب أو حرمة أو إباحة ... وعرف بها إجمالاً، ثم وكل إيضاح الشروط والصفات وكيفية التطبيق إلى بيان الرسول صلى الله عليه وسلم، وذلك مثل عامة العبادات من صلاة وصيام وحج وزكاة، ومثل كثير من أحكام المعاملات. ومنها ما وضع فيه المبادئ الأساسية وقرر بحقه الأحكام الكلية ثم أناط تعيين الاحتمالات ووجوه التطبيق فيه بأعراف الناس وتطورات الزمن والأحوال.

والموضوع الرابع هو: الأخلاقيات، فعني به عناية كبرى، وجعله من الثمرات الأولى للإيمان بالله عز وجل، وأوضح أن هناك تلازماً شديداً بين عبودية الإنسان لله عز وجل والسلوك الأخلاقي الفاضل في المجتمع. والطريقة القرآنية لعرض هذا الموضوع، أنه يربط بين مبادئ العقيدة والإيمان بالله عز وجل، والمبادئ السلوكية في الحياة، ويكشف عن التلازم الذي بينهما، وأن الثانية دائماً نتيجة وثمرة للأولى. (البوطي، 1999: 163-166).

وعند التفحص المتواضع، لم يجد الباحث أن الشيخ البوطي استعمل روايات موضوعات وإسرائيليات في تفسيره. وظهر ذلك في عدم تفحص الشيخ أسماء من أبهم القرآن وتاريخهم وأصول حياتهم، بل اكتفى الشيخ على ظاهر القرآن وحاول أن يظهر العبر والعظة التي أشار إليها القرآن. بل إن الشيخ البوطي يكتشف عن حكمة إخفاء القرآن عنهم بأن هذا الكتاب ليس كتاباً تاريخياً بل هو ذكر وقرآن مبين. وبأعلى من ذلك، لخص الشيخ البوطي بأن هذا الإبهام من خصائص طريقة

عرض القرآن في الآيات القصصية من القرآن كي تتوجه أنظار القارئ إلى ما في الآيات من العظات (البوطي، 1999: 165).

وفي مسألة الأدب، بين الشيخ البوطي أن ثمة حقيقة لا مرية فيها ولا جدال هي أن العربية بكل ما لها من قواعد وبلاغة وفقه لغة مرتكزة على القرآن. فقواعد النحو والصرف لم توجد إلا يوم قام أبو الأسود الدؤلي بشكل القرآن وضبطه، وعندما يختلف النحاة في إعراب جملة أو فهم كلمة فإن أقوى ما يفصل في الأمر، آية من القرآن توضح ما استغلق أو تكشف عما التبس. وقواعد البلاغة والبيان لم تؤسس إلا على محور القرآن ولم تستنبط إلا من أسلوبه وطريقة تعبيره، وعندما وضع علماء البيان أصول الكناية والمجاز والاستعارة فإنما احتذوا في ذلك حذو القرآن، وساروا على ضوئه واتبعوا طريقته. والقرآن هو الذي فصل بين العصرين الخطيرين للنشر العربي النثر في العصر الجاهلي والنثر في العصر الإسلامي فجسد في كل منهما ميزاته ومظاهره وخصائصه. فلا يمكن أن يتصور شخص ويتخيل أن نفسه من الأدباء بدون الالتفات إلى القرآن (البوطي، 1997: 195-196).

وقد استعمل البوطي هذا اللون البياني والأدبي في تفسيره لتحليل التراكيب اللفظية ومشكلاتها واكتشاف سر التقديم والتأخير في الآيات القرآنية ومسئلة الضمير ورجوعه وسر الالتفات في الخطاب القرآني. وكذا حاول البوطي أن يظهر الاشتقاق ومواضع الدقة في التعبير القرآني. جاهد الشيخ بإظهار الحكمة في استعمال اللفظ المعين الذي لولاه لما استقام المعنى المقصود (البوطي، 1999: 259).

الباب الرابع

تحليل منهج التفسير الشيخ البوطي في المبادئ والإنسانيات

أ. تحليل خصائص بنية تفسير الشيخ محمد سعيد رمضان البوطي في الكتاب من

روائع القرآن تأملات علمية وأدبية في كتاب الله عز وجل

بدأ أولاً الشيخ محمد سعيد رمضان البوطي في تفسير بالعنوان الخاص أو

الموضوع المعين، وفي هذه النماذج خمس موضوعات وهي الإلهيات والوصف والمبادئ

والإنسانية والقصص والحجاج والنقاش. ثم سرّد الآيات المتعلقة بهذه الموضوعات.

ولكن امتاز هذا الشيخ عن سائر المفسرين غيره بأنه لم يذكر آيات مناسبات في

الموضوع المعين مثلاً في الإلهيات. فلا يذكر لفظ الإله في القرآن وتصريفه وتطبيقه

ومعناه الخاص مثلاً، ثم نقل أقوال المفسرين عن هذه اللفظة كما فعله الدكتور قريش

شهاب في تفسيره الموضوعي مثلاً (قريش شهاب، 2007: 5).

لا، بل ذكر الشيخ الآيات بعدد مخصوص بحيث يتكامل به مقصود حسن

وعبرة واعظة من القرآن. فسرد في الإلهيات من سورة الرعد من الآية الثامنة إلى الآية

الرابعة عشر. فكأن المقصود من هذا العنوان وهذا الموضوع هو موضوع السورة لا

موضوع اللفظ في القرآن. فالتفسير الموضوعي الذي هو أن يلتزم المفسر موضوعاً

قرآنياً واحداً يجمع الآيات الواردة ليتناولها إلى حكم القرآن النهائي في موضوعه (فهد

الرومي، 1986: 862) إنما ينقسم إلى طريقتين. وهما موضوع السورة في القرآن

وموضوع اللفظ في القرآن.

أما الطريق الأول لكيفية البحث فيه فهي أن ينظر الباحث إلى السورة

القرآنية من أولها إلى آخرها على أنها وحدة متكاملة الفكرة والمنهج والموضوع.

والطريقة الثانية: هي أن ينظر الباحث إلى الآيات القرآنية المتنوعة في القرآن كله،

بجمع تلك الآيات ذات الموضوع الواحد والهدف المشترك في موضوع واحد، ويقوم بدراستها دراسة متكاملة مراعيًا ترتيبها حسب أسباب النزول لكي يعرف المتقدم منها من المتأخر مستعينًا في ذلك بالسنة الصحيحة وفهم السلف لذلك. ومحاولًا قدر جهده وطاقته الإحاطة بجوانب الموضوع كله. وهذه الطريقة الثانية هي المعمول بها في مجال البحوث العلمية الموضوعية، وإذا ما أطلقت كلمة تفسير موضوعي فلا يفهم منها إلا بحث موضوع من موضوعات القرآن الكريم على مستوى القرآن جميعه (الزهراني، 1413: 17).

ومن المهم أن مصطلح التفسير الموضوعي قد اختلف حوله العلماء، فالأستاذ أمين الخولي يعرف بأنه تجمع آيئه الخاصة بالموضوع الواحد جمعاً إحصائياً مستقصياً يُعرف ترتيبها الزمني ومناسباتها وملابساتها الحافة بها، ثم ينظر فيها بعد ذلك لتفسير وتفهم (أمين الخولي، 1961: 306)، ويرى محمد محمود حجازي أن التفسير الموضوعي هو جمع الآيات التي في موضوع واحد وترتيبها حسب النزول مع الوقوف على أسباب النزول ودراستها دراسة منهجية موضوعية كاملة لتعطينا موضوعاً واحداً له وحدة موضوعية متكاملة متناسقة لا تباين فيها ولا اختلاف حتى تلتقي جميع هذه النصوص كلها في مصب واحد مع التعرض لمناسبة الآيات في سورها (حجازي، 1970: 25)، وقد ارتضى هذا التعريف عبد الحي الفرماوي (الفرماوي، 1989: 52).

ويرى الأستاذ محمد باقر الصدر أن الدراسة الموضوعية أو التوحيدية هي التي تطرح موضوعاً من موضوعات الحياة العقائدية أو الاجتماعية أو الكونية وتتجه إلى درسه وتقييمه من زاوية قرآنية للخروج بنظرة قرآنية بصده (الصدر، 1981: 17).

وكذلك اختلفوا في ألوان التفسير الموضوعي، فبعضهم قسمها إلى المنهجين في التفسير الموضوعي وهما الوحدة الموضوعية في السورة والوحدة الموضوعية في القرآن، وبعضهم قسمها إلى ثلاثة مناهج بزيادة دراسة المفهوم والمصطلح القرآني (محمد فيصل، 2013: 158).

وقد تعرض الشيخ البوطي على هذا المنهج الموضوعي بقوله:
وبعد فقد اخترنا خمسة نصوص من الكتاب المبين للدراسة التطبيقية وأردنا أن يكون كلّ منها نموذجاً لموضوع معين من الموضوعات القرآنية (البوطي، 1991: 238).

فأراد الشيخ أن يبين الموضوع القرآني بخمسة نصوص من القرآن، فكأنه أراد أن يأخذ الموضوع من القرآن بحيث يكون القرآن ناطقاً بنفسه على ما أراد هو، لا أخذ القرآن ليكون محكماً على ما أراد المفسر من اللفظ المعين واستنباطه من القرآن أو مجرد أخذ المعنى الخالص من الآية القرآنية على ما هي عليه، وقد يقع كثير من العلماء في الفكر الشخصي. على أن الشيخ البوطي لم يسلك في هذا الموضوع السوري في القرآن بصورة كاملة من أول السورة إلى آخرها، بل إنما أخذ من السورة ما يمثل عن مقصود الموضوع المعين الذي يكون عنواناً من قبل تفسيره.

وقد رأى الباحث ما يناسب ويوازن ويقارب هذا المسلك التفسيري من تفسير الوزارة الدينية الإندونيسية في تفسيرهم المسمى بالقرآن الكريم وتفسيره. ففيه أيضاً إعطاء العنوان بما جاء في السورة من الموضوع. فمثلاً في تفسير الآية الثامنة إلى الآية العشرين، اتخذوا عنواناً بأنواع المنافقين. ثم سردوا الآيات وأعطوا ترجمة فأخذوا بالمفردات والمناسبة والتفسير واحتتموا بالخلاصة (الوزارة الدينية الإندونيسية، 2009: 42-50).

وعندما نظر الباحث في أسلوب الشيخ سعيد رمضان البوطي في تفسيره وجد أيضا مناسبة ومشابهة بهذا التفسير الإندونيسي فبدأ أولا الشيخ البوطي بالعنوان، ثم سرد الآيات، ثم عرفها بالتعريف العام، ثم أتبعها بشرح الآيات وختمها بالخلاصة التي قد يسميها بالجملة الأخيرة. ولكي يظهر هذا الأسلوب الأنيق، حيا ينظر إلى تفسيره هذا:

في الإلهيات (من سورة الرعد، من آية 8: إلى آية 14)

قال الله عز وجل: اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيصُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ. عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ. سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسْرَرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ. لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ. هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ. وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ. لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطٍ كَفِّهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ.

تعريف عام بالآيات:

هذه الآيات تأتي بعد قوله تعالى متحدثا عن الكافرين: وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا أَيْنَا لَنفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ! فهي ردّ على تعجبهم من أن يبعثوا مرة أخرى إلى الحياة بعد أن تفتتت أجزاء جسامهم في طوايا التراب؛ والآيات تردّ على عجبهم وتستنكره من خلال عرض صفتين من أهم صفات الألوهية في ذاته سبحانه وتعالى.

الصفة الأولى: إنه مطّلع على دقائق الأشياء كلها لا تخفى عليه منها خافية مهما صغرت وتضاءلت، ومهما اختفت من خلف الغياهب والحجب، ومنها ذرات جسيم الناس بعد ضياعها في بطن الأرض أو في جوف البحار.

الصفة الثانية: قدرته الباهرة وسطوته القاهرة، اللتان بهما دخل الكون كله تحت سلطانه، فقيم العجب من أن يعاد الناس إلى خلق جديد بعد موتهم، وقد أخبر بذلك من خلقهم أول مرة، ومن يعلم أين تذهب كل ذرة من جسيمهم ومن كان الكون كله داخلا تحت نطاق قدرته وسلطانه.

شرح الآيات:

*تبدأ الآية الأولى ببيان أن الله عزّ وجلّ لا تخفى عليه خافية، وأنه يرى ويعلم كل غيب مجهول وكل ضائع مستور. فيجسّد حقائق الغيب في أبرز نموذج له لا يزال الإنسان يرى فيه أول مثال للمجهول الذي لا ولن يطوله علم الإنسان واطّلاعه، وهو تخلق المولود في رحم الأنثى بدءاً من أول مرحلة فيه إلى آخرها؛ ثم يثبت البيان القرآني أن الله وحده المطلع على هذا الغيب بأمره وحقيقته. وذلك كناية عن أن الله عزّ وجلّ مطّلع على كل غيب وخافية. إذ كان غيب ما في الأرحام أبرز نموذج لهما. ولك في تقرير هذا المعنى أن تعتبر «ما» المتكررة في الآية موصولة ومصدرية؛ ولا ريب أن المصدرية أبلغ في الدلالة. والمهم أن تتأمل الشمول الذي يتجلى في قوله: كُلُّ أُنْثَى: شمول بواسطة الأداة، وشمول في تنكير الأنثى، ثم أن تتأمل الصورة التي ترسمها في الذهن جملة وما تَغِيضُ الأَرْحَامُ وما تَزْدَادُ. والغيض هو النقصان، يأتي فعله لازماً ومتعدياً. تقول: غاض ماء البئر وغضت من مائه، فالله يعلم كل ما ينقصه الرحم أو يزيده في جثة المخلوق أو في مدة حمله له. وهو معنى واسع دلّت عليه الآية كما ترى بجملة صغيرة ذات دلالة تصويرية معينة.

ولكن هل الأمر في هذا بالنسبة لله عزّ وجلّ مجرد علم واطّلاع؟ يجيب آخر الآية على هذا السؤال الذي يثيره أولها بقوله عزّ وجلّ: وكل شيء عنده بمقدار. فليس

ما قد يتخلق في الرحم من شتى المخلوقات، وليس ما قد يعتريه من غيظ أو فيض في الجثة أو الزمان- ليس شيء من ذلك مظهرًا لمصادفة أو اضطراب أو تحوّل ذاتي كما يتفق له؛ بل كل ذلك إنما يتم وفق نظام شامل دقيق.... ومع سياق الحديث عن رعاية الله للإنسان وحفظه له في غدوّه ورواحه، تذكر الآية قاعدة جرت عليها سنّة الله في الكون: إن الله لا يغيّر ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم.

أي إن الله عزّ وجلّ لا يغيّر ما تلبّس بقوم من النعمة وما قد حفّ بهم من الرعاية التي وصفها، حتى يغيروا ما قد استقرّ في نفوسهم من فطرة الاستقامة على الحق، التي فطر الله الناس عليها، فيجنحوا إلى نقائصها من الآثام والشرور. وإذا تأملت في صياغة هذه الجملة ودقة سبكها ووجيز ألفاظها مع شمول المعنى واتساعه رأيت من ذلك عجبًا لا ينتهي إلا عند ما تتذكر أنه بيان الله وكلامه المعجز (البوطي، 1999: 239-246).

وأما من حيث مصادر التفسير فقد كان الشيخ محمد سعيد رمضان البوطي يكثر اللغة ومعانيها، فمثلاً عن قوله تعالى (فهل إلى خروج من سبيل) من سورة غافر الآية 11 نظر هذا الشيخ في لفظة هل ومعناه وقال إنها استفهام عرض ورجاء. وكذا عن قوله تعالى (ذلكم بأنّها إذا دعي الله وحده كفرتم وإن يشرّك به تؤمنوا) من تلك الآية، نظر هذا الشيخ في إذا الدالة على التحقق والتكرار للتعبير عن حال الدعوة إلى الله وعن ظهور الشرك بأن الدالة على المصادفة في الوقوع وعدم التكرار (البوطي، 1999: 279).

وهذا الأسلوب التفسيري قد سبق إليه كثير من العلماء مثل الشيخ المراغي في تفسيره، وإن لم يكن الشيخ البوطي ممن ينقلون أقوال العلماء محضاً بلا تصرف في التعبير، فمثلاً عن التفسير المذكور فسر الشيخ المراغي (فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ) أي فهل أنت معيدنا إلى الدنيا لنعمل غير الذي كنا نعمل، فإنك قادر على ذلك . وهذا

أسلوب يستعمل في التخاطب حين اليأس، قالوه تحيّرًا أو تعللا عسى أن يتاح لهم
الفرج (المراغي، 1946: 51).

ولكن المهم أن الشيخ البوطي لم يكن مستوقفا على اللغة من دون البيان
والاستدلال في القواعد والهدايا المأخوذة من القرآن، لم يكن مقصوده مجر البيان
الأدبي فقط كما سلك عليه الأستاذ أمين الخولي، بل يحاول البوطي أن يأخذ مظهرها
في الأسلوب الهدائي من القرآن. فعند التفسير عن الآية المذكورة يستنبط الشيخ
البوطي بأن التفريق المذكور بين الإشارك بالله الذي لا يستعمل فيه إذا للتحقق
وعدمت الدعوة وبين الدعوة إلى الله الذي يستعمل فيه إذا للتحقق والتكرار ووجدت
لفظة الدعوة ليصوّر في الذهن مدى ما انتهى إليه حالهم من السوء، فهم لا ينصتون
إلى شيء من الحق مهما ذكروا به ودعوا إليه، في حين أنهم يسرعون إلى الكفر
والجحود مهما لاحت لهم أي صورة منه على البعد (البوطي، 1999: 250).

وهذا الأسلوب التفسيري مما رغب وشجع إليه وسلك عليه الشيخ محمد
عبده مع تلميذه الأستاذ رشيد رضا في التفسير المنار والسيد قطب في الظلال، وهو
الاستنباط من القرآن دلالات وقواعد وهدايا توصل إلى القارئ، فقد فسر السيد
قطب بقوله قوله تعالى (فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ) بهذا التنكير الموحى باللهفة واليأس
المزير. هنا- في ظل هذا الموقف البائس- يجبههم بسبب هذا المصير (ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا
دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ، وَإِنْ يُشْرَكَ بِهِ تُؤْمِنُوا، فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ) فهذا هو الذي
يقودكم إلى ذلك الموقف الذليل. إيمانكم بالشركاء، وكفركم بالوحدانية (السيد قطب،
3072: 1412).

وهذا ما لخصه الدكتور حسين الذهبي من أن هدف الشيخ رشيد رضا في
التفسير هو عيّن ما يهدف إليه الأستاذ الإمام، فإذا كان الأستاذ الإمام يُصرّح بأن

هدفه من التفسير هو فهم الكاتب من حيث هو دين يرشد الناس إلى ما فيه سعادتهم في حياتهم الدنيا وحياتهم الآخرة. فإن صاحبنا يُصَرِّح بمثل ذلك في كثير من مواضع كتابه، فيقول بعد أن يوجه اللوم إلى مَنْ حشروا في التفسير من قواعد العلوم، ومسائل الفنون، وموضوعات الحديث، وخرافات الإسرائيليات، ما يصرف الناس عن هداية القرآن، يقول: إن حاجة الناس صارت شديدة إلى تفسير تتوجه العناية الأولى فيه إلى هداية القرآن على الوجه الذي يتفق مع الآيات الكريمة، المنزلة في وصفه. وما أُنزل لأجله، من الإنذار، والتبشير والهداية، والإصلاح. يريد أنه سيعمل تفسيره على هذا النمط ليسد حاجة الناس، ويقول في موضع آخر: إن قصدنا من التفسير بيان معنى القرآن، وطرق الاهتداء به في هذا الزمان (حسين الذهبي، 2004: 255).

وعند التفحص في تفسير هذا الشيخ سعيد البوطي، وجد الباحث أنه مملوء بالمناسبة بين الآيات، فمثلا عند التفسير المذكور أظهر الشيخ الارتباط بين قوله تعالى (وما تغيض الأرحام وما تزداد) بما بعده وهو قوله تعالى (وكل شيء عنده بمقدار) بأنه لما علم الله ما تغيض وما تزداد، فهل هذا مجرد علم وإطلاع؟ فأجاب بأنه ليس ما قد يتخلق في الرحم من شتى المخلوقات وما قد يعتريه من غيض أو فيض في الجثة أو الزمان - ليس شيء من ذلك مظهرا لمصادفة أو اضطراب أو تحوّل ذاتي كما يتفق له؛ بل كل ذلك إنما يتم وفق نظام شامل دقيق وطبق إرادة إلهية جازمة (البوطي، 1999: 240).

ولكن مما يمتاز هذا الشيخ عن سائر المفسرين كونه لا يشبع في المناسبة فقط، بل أتبع هذه المناسبة بتنبية أن هناك قواعد عامة وأن قوله تعالى (وكل شيء عنده بمقدار) يكون قانونا إلهيا شاملا يعم شأن الخلق والكون كله لكي تفهم أن تقلب حال المخلوق في الرحم ليس مرده إلا إلى قانون تنظيمي للكون كله. وأطنب

الشيخ البوطي عن قانون الله وتنظيمه في كتاب سماه (من سنن الله في عباده)، فقد قال هناك إن الله تعالى لم يعذب في هذه الدنيا أي مخلوق بالشرك فقط ما داموا صالحين ومصلحين بينهم ولو كانوا كفارا (البوطي، 2011: 103).

وهذا القانون يعني عدم عذاب الله على عباده ما داموا صالحين ومصلحين وعادلين ولو كانوا كفارا موافق لما في تفسير الرازي فقال قوله تعالى (وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون (117) ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين (118) إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين (119)، قال اعلم أنه تعالى بين أنه ما أهلك أهل القرى إلا بظلم وفيه وجوه: الوجه الأول: أن المراد من الظلم هاهنا الشرك قال تعالى: إن الشرك لظلم عظيم، والمعنى أنه تعالى لا يهلك أهل القرى بمجرد كونهم مشركين إذا كانوا مصلحين في المعاملات فيما بينهم والحاصل أن عذاب الاستئصال لا ينزل لأجل كون القوم معتقدين للشرك والكفر، بل إنما ينزل ذلك العذاب إذا أساءوا في المعاملات وسعوا في الإيذاء والظلم. ولهذا قال الفقهاء إن حقوق الله تعالى مبناها على المسامحة والمساهلة، وحقوق العباد مبناها على الضيق والشح. ويقال في الأثر الملك يبقى مع الكفر ولا يبقى مع الظلم، فمعنى الآية: وما كان ربك ليهلك القرى بظلم أي لا يهلكهم بمجرد شركهم إذا كانوا مصلحين يعامل بعضهم بعضا على الصلاح والسداد. وهذا تأويل أهل السنة لهذه الآية، قالوا: والدليل عليه أن قوم نوح وهود وصالح ولوط وشعيب إنما نزل عليهم عذاب الاستئصال لما حكى الله تعالى عنهم من إيذاء الناس وظلم الخلق. والوجه الثاني: في التأويل وهو الذي تحتاره المعتزلة هو أنه تعالى لو أهلكهم حال كونهم مصلحين لما كان متعاليا عن الظلم فلا جرم لا يفعل ذلك بل إنما يهلكهم لأجل سوء أفعالهم (فخر الدين الرازي، 1420: 410).

وقد سبق إلى نظرية هذه المناسبة وتطبيقها الشيخ جلال الدين السيوطي في كتابه نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، فعن الآية المذكورة ذكر السيوطي وجه تناسبه بقوله {وما تغيض} أي تنقص {الأرحام} من الماء فتتشفه فيضمحل لعدم صلاحيته لأن يكون منه ولد، وأصل الغيض كما قال الرماني: ذهاب المائع في العمق الغامض، وفعله متعد لازم {وما تزداد} أي الأرحام من الماء على الماء الذي قدر تعالى كونه حملاً فيكون توأماً فأكثر في جماع آخر بعد حمل الأول كما صرح بإمكان ذلك ابن سينا وغيره من الأطباء، وولدت في زماننا أتان حماراً وبغلاً، وذلك لأن الزيادة ضم شيء إلى المقدار وكثرته شيئاً بعد شيء فيقدر ذلك، ولا يمكن أحداً زيادته ولا نقصانه، وذلك كله يستلزم الحكمة فلذا ختمه بقوله: {وكل شيء} أي من هذا وغيره من الآيات المقترحات وغيرها {عنده} أي في قدرته وعلمه {بمقدار} في كميته وكميته لا يتجاوز ولا تقصر عنه، لأنه عالم بكيفية كل شيء وكميته على الوجه المفصل المبين، فامتنع وقوع اللبس في تلك المعلومات وهو قادر على ما يريد منها (السيوطي، 2000: 288)

وأما مصادر الشيخ البوطي في التفسير فإنه يستعين بالتفاسير القديمة والحديثة، بل يحض القارئ للتعكوف على مختلف التفاسير وإن لم يصرح هو من أين كتاب التفسير الذي كان مأخذه، فهو يكتفي بذكر معنى الآيات حيث قال: وعليك أن تعكف بعد ذلك على مختلف كتب التفسير القديمة والحديثة لتواصل السير ولتتم دراستك التطبيقية لكتاب الله كله (البوطي، 1999: 238)

فمثلاً عندما ذكر قوله تعالى (ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين)، فسر هذا الشيخ بأن الإمامتين هما الإمامة السابقة على الوجود في الحياة الدنيا، والإمامة السابقة

على الحشر يوم القيامة. والحياتان هما الحياة التي عاشوها في الدنيا والتي بعثهم الله إليها يوم الحشر دون الإمامة في القبور كما قاله السدي. فالحاصل أن هناك معنيين، فقليل إن المراد بالإمامة الأولى هو ما في أصلاب الآباء فأحياهم الله في هذه الدنيا والمراد بالإمامة الثانية هو الموت الذي لا بد منه بعد حياة الدنيا. وقيل إن المراد بالإمامة الأولى هو الموت في القبور فأحياهم الله في القبور لسؤال الملائكة والمراد بالإمامة الثانية هو الموت بعد السؤال. والقول الأول هو قول الأئمة كابن عباس وقتادة وضحاك. وأما القول الثاني فهو قول الإمام السدي (عمر بن علي النعماني، 1998: 469).

واتضح من هذين القولين أن الشيخ البوطي اختار أشهر القولين وأقواهما. غير أن مما امتاز به الشيخ من غيره أن لا يترك التفسير والمعنى مجردا عن الجانب الهدائي، بل أطنب الشيخ بذكر ما انطوى على الآية من الحكمة والعبرة بأنه إنما عبّر عن العدم الأول بالإمامة مع أنه عدم أصلي غير مسبوق بوجود ليصوّر لنا أن ذلك إنما هو أيضا بجعل الله وتقديره، كما تقول: سبحان من صغر البعوض وعظم الفيل، مع أن البعوض صغير من أصله (البوطي، 1999: 249).

وهذا الأسلوب التفسيري يقوي أن مقصود الشيخ بهذا التفسير ليس جمع الأقوال وترجيحها بل المقصود الأصلي هو فهم الآيات واستنباط ما سيكون كالقانون والقاعدة العامة في إيصال الهداية من القرآن الكريم كما سلك عليه محمد عبده ورشيد رضا كما مر مرارا.

وفي مثال آخر، فسر الشيخ البوطي معنى الروح في قوله تعالى (رفيع الدرجات ذو العرش يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده لينذر يوم التلاق) بمعنى الوحي الذي هو بمثابة الروح لحياة الإنسان، إذ إن مضمون الوحي الإلهي إنما

هو روح للحياة الحقيقية التي يحتاجها الإنسان أشد من حاجته إلى الغذاء (البوطي، 1999:251).

فهذا التفسير محل خلاف بين العلماء فقال قتادة الروح بمعنى الوحي من أمره، وقال الضحاك الروح بمعنى القرآن وقال ابن زيد إنه هو الكتاب وقال السدي مراده النبوة لمن يشاء (الطبري، 2000:364). فظهر من هذا السرد المتواضع أن الشيخ البوطي يتبع تفسير الإمام قتادة الذي كان أقوى دليلاً كما ذكره الشنقيطي بأنه مما يدل على أن المراد بالروح الوحي إتيانه بعد قوله: {يُنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ بِالرُّوحِ} بقوله: {أَنْ أَنْذِرُوا}، لأن الإنذار إنما يكون بالوحي، بدليل قوله: {قُلْ إِنَّمَا أَنْذَرُكُمْ بِالْوَحْيِ}، وكذلك إتيانه بعد قوله: {يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ} بقوله: {لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ...}، لأن الإنذار إنما يكون بالوحي أيضاً (الشنقيطي، 1995:328).

ولكن هناك أمر ينبغي أن يعتنى به من أسلوب تفسير هذا الشيخ الكريم يعني الشيخ سعيد البوطي، وهو عدم توقفه على هذا المعنى من الآية القرآنية فقط، بل نظر هذا الشيخ إلى كلمة (يلقي) بأنه كيف تصور انطلاق الوحي من الله عز وجل إلى من شاء من عباده في إلقاء سريع، فلا يمكن أن يلحقه أي تبديل أو تحريف، وهو ما يؤكد مضمون قوله: من أمره، أي يلقي الروح ناشئاً ومنطلقاً من أمره، فمن للابتداء، والجار والمجرور متعلق بمحذوف منصوب على الحالية (البوطي، 1999:251).

ولم يظفر الباحث من الذي سبق إلى مثل هذا التفسير العجيب قبل هذا الشيخ الكريم؟ ولكن وجد الباحث في أسلوب استنباط المعاني القرآنية من مجرد الأسلوب القرآني مشابهاً لهذا الشيخ البوطي وهو الشيخ فخر الدين الرازي حينما

فسر هذه الآية بأن أشرف الأحوال الظاهرة في روحانيات هذا العالم ظهور آثار الوحي، والوحي إنما يتم بأركان أربعة فأولها المرسل وهو الله سبحانه وتعالى، فلهذا أضاف إلقاء الوحي إلى نفسه فقال (يُلْقَى الروح)، والركن الثاني الإرسال والوحي وهو الذي سماه بالروح، والركن الثالث أن وصول الوحي من الله تعالى إلى الأنبياء لا يمكن أن يكون إلا بواسطة الملائكة، وهو المشار إليه في هذه الآية بقوله (مِنْ أَمْرِهِ) فالركن الروحاني يسمى أمراً، قال تعالى (وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا، وَقَالَ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ، والركن الرابع الأنبياء الذين يلقي الله الوحي إليهم وهو المشار إليه بقوله (على مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ)، والركن الخامس تعيين الغرض والمقصود الأصلي من إلقاء هذا الوحي إليهم، وذلك هو أن الأنبياء عليهم السلام يصرفون الخلق من عالم الدنيا إلى عالم الآخرة، ويحملونهم على الإعراض عن هذه الجسمانيات والإقبال على الروحانيات، وإليه الإشارة بقوله (لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ)، فهذا ترتيب عجيب يدل على هذه الإشارات العالية من علوم المكاشفات الإلهية (فخر الدين الرازي، 314:1420).

ومما امتاز به الشيخ البوطي من سائر المفسرين ذكره قواعد وبيانات قبل التفسير. فبعد ذكر علوم القرآن بأنوعها مثل تعريف القرآن وتاريخ تدوينه والتفسير وتطوره والمبهم والمكي والمدني، وضع البوطي في القسم الثاني منهج القرآن وأسلوبه. وهذا ما أراده الباحث من أن الشيخ البوطي وضع بيانات وقواعد لتكون موطئاً وأساساً في التفسير. ولمزيد البيان، يجدر للباحث أن ينقل أنموذجاً في القصة في القرآن.

ففي القسم الثاني، ذكر البوطي أن الغرض الأساسي من القصة في القرآن هو تحقيق المعنى الكلي الذي جاء به القرآن إلى الناس. وأما الغرض الفرعي فيلخص

في ثلاثة أمور. الأمر الأول إثبات الوحي الإلهي والرسالة النبوية لرسول الله صلى الله عليه وسلم. وذلك أن التاريخ قد علم أن رسول الله لم يقصد أحدا من علماء اليهود النصارى يسمع منهم أخبار عيسى وموسى وغيرهما من الأنبياء والمرسلين. فلما جاء القرآن بقصصهم كان دليلا واضحا على كونه ليس من عند النبي.

الأمر الثاني العبرة والموعظة. وذلك ببيان قدرة الله وبالعجائب وقوته وسطوته بالأمم الماضية من فنون العذاب والهلاك للتنبيه على أن مثل ذلك يوشك أن يقع ممن أبى إلا أن يمشي على دربهم متبعا خطاهم والتنبيه على أن الدين السماوي الذي بعث به الأنبياء واحد وأن رسالات الرسل والأنبياء واحدة لا تعارض فيها ولا اختلاف. وأما منهج القرآن في القصص فيمكن تلخيصه في المظاهر. المظهر الأول تكراره. فليس تكرار القرآن كما يعرف في غيره من السامة، بل وجد بتكرار قصة قوم غابر مذكور في سورة هود مثلا ما لم يوجد في سورة القمر من المعاني والعبر والعظات والأسلوب والعرض وجرس الألفاظ ما يخيل إليك أنك أمام قصص وأخبار لم تكن تعلم بها (البوطي، 1999: 195-198).

والمظهر الثاني اقتصاره من حوادث القصة على ما يتعلق به الغرض. فمثلا عن قصة أصحاب الكهف، وصف القرآن بأنهم فتية آمنوا بربهم انفردوا عن أقوامهم، فيترك القرآن أسماءهم ومن هم هؤلاء القوم؟ وفي أي بلدة يسكنون؟ وكم كان عدد هؤلاء الفتية؟

والمظهر الثالث إقحام النصائح والعظات في ثنايا القصة. وذلك بسر الآيات الكونية والعبرة الدينية أثناء القصة كي لا يتخذوا هذه القصة مجرد إخبار بل لاتعاض النفوس بها. والمظهر الرابع العرض التصويري. وراجع إلى التصوير الفني في القرآن

للمرحوم سيد قطب. والمظهر الخامس التنوع في الاستهلال بالقصة ووضع المدخل إليها. والمظهر السادس العرض التمثيلي لتكون القصة حية.

ثم شرع البوطي في بيان القيمة التاريخية لقصص القرآن، دافع فيه البوطي عن صدق قصص القرآن بأنه لو كان القصص فيه مجرد تقاليد وخرافات انتشرت في العربية قبل مجيء القرآن فدع لنا أن نعلم اسم واحد فقط من العرب وقف أو جلس في ناد من نوادي العرب يتحدث بكلمة واحدة من أي قصة جاء بها القرآن من بعد. وقد طلب بعض الأعداء الوثائق العلمية في صدق قصص القرآن والحال أن جميع مؤرخي الشرق والغرب إذا سئلوا عن أول مصدر يعتمدون عليه في معلومات عن المسيح عيسى عليه السلام وعن موسى وخروجه من مصر يجيبون إنه الكتب المقدسة، أفتكون هذه الكتب مصدرا تاريخيا علميا نزيها ثم لا يكون القرآن واحدا من هذه المصادر على الأقل؟ (البوطي، 1999: 204-209).

وبعد وضع هذا الأساس، استمر الشيخ البوطي إلى تفسيره وإليك بعضه

فقال:

في القصص (من سورة هود، من آية: 35 إلى آية: 49)

قال الله تعالى:

وَأَوْحِي إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ. وَاصْنَعِ الْفُلَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُعْرِضُونَ. وَيَصْنَعِ الْفُلَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأَ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ....

تعريف عام بالآيات:

هذه الآيات تمثل مشاهد من قصة نوح عليه السلام مع قومه، وإنما تركنا المشهد الأول منها فقط، وهو الذي يصور فيه البيان القرآني الحوار الذي كان بين نوح وقومه وأسلوبه في دعوتهم إلى الله عز وجل. وإذا تأملت هذه

الآيات التي نقلناها لك وجدتها تتألف من خمسة مشاهد - والقصة القرآنية كما قد علمت تضع أمامك مشاهد من صورها، أكثر من أن تخبرك بمعان من أحداثها. تجد في المشهد الأول مظهر الغضب الإلهي على قوم نوح بعد أن طالت دعوتهم إلى الإيمان بالله دون جدوى كما تجد فيه أمر نوح بأن ينصرف إلى إعداد سفينة. وتجد في المشهد الثاني صورة من سخرية قومه به وهو عاكف على صنع السفينة. وتجد في المشهد الثالث صورة من أحداث الطوفان وكيف أخذت السفينة تمخر بالمؤمنين من عباد الله جبالا من الأمواج. وتبصر في المشهد الرابع سكون الغضب واختفاء الماء وهدوء الدنيا وعودة كل شيء إلى ما كان. أما المشهد الخامس والأخير فتبصر فيه مناجاة نوح لربه بشأن ابنه ثم هبوط الناس إلى دنيا أعمالهم وعيشهم مرة أخرى . هذا تعريف سريع بالآيات ومحتواها وموقعها مما قبلها. أما تفصيل ذلك ففيما يلي:

شرح الآيات:

*تضعنا الآيتان الأوليان أمام أول مشهد من الأحداث العظيمة في هذه القصة، وذلك بعد أن مرّ دهر طويل على نوح وهو يدعو قومه إلى الله ويناشدهم الانصياع إلى منطق العقل ووحى الضمير، دون جدوى: وَأَوْحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ فقد أخبر الله إذا أنه لا مطمع في إسلام أحد من قومه بعد اليوم، فلينفذ يده من الاهتمام بشأنهم، ولا يحزن عليهم بما يظلمون عاكفين عليه من غواية وضلال. وليس هذا فقط، بل إن عليه أن ينصرف عن دعوتهم بعد اليوم، وعليه أن يشرع في صنع سفينة... !

ولكن كيف يصنع السفينة وهو لم يمارس هذا العمل من قبل، وكيف يتأتى أن يفعل ذلك باطمئنان وفي سلام، وإن قومه الذين لم ينفكوا يؤذونه

سيفسدون عليه عمله؟ والجواب تراه في قوله عز وجل: **وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا** **وَوْحَيْنَا** أي اصنعه ولا تبال بسخرية قومك، فإنما ستصنعه متلبسا برعايتنا وحفظنا؛ ولا تؤرق الفكر في مشكلة جهلك بصنعه، فإنما ستصنعه من وراء وحيننا وإلهامنا. ويختتم الوحي الإلهي خطابه لنوح بقوله عز وجل: **وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ** لا تكلمني في شأنهم باسترحام ودعاء بعد اليوم. فقد قضى الأمر بإغراقهم وسينفذ قضاء الله فيهم وشيكاً. ولييان ضرورة نفاذ هذا القضاء عبر بصيغة الماضي: **إِنَّهُمْ** مغرقون.

*وينطوي هذا المشهد، ليظهر من ورائه مشهد آخر، تبصر فيه نوحاً عليه السلام وهو منهمك في صنع الفلك وإعدادها. وانظر كيف يصور البيان القرآني هذه الصورة في قوله عز وجل: **وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ** ... هكذا، بصيغة المضارع الحاضر، إحياء للصورة في الذهن وتحضيراً للمشهد أمام المخيلة. ثم نبصر في هذا المشهد قوم نوح وهم يمرون، جماعة إثر أخرى، يضجون سخرية به وبعمله الحديد هذا. ولك أن تتصور ما شئت من مظاهر السخرية وأقاويلها، فالقرآن ترك تصوّر ذلك لخيالك، وتأمل في ذلك قوله عز وجل: **وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ** جملة حالية تصور لك الأمر مستمرا متكررا؛ ذلك أنهم رأوه في عمله هذا مادة جديدة هائلة للسخرية، خصوصا وإنه يقوم بهذا العمل في مكان لا حاجة ولا محل فيه للسفن إذ كانت القصة ما بين بلاد الشام والعراق؛ فهم كلما مروا به وقفوا عنده يسخرون منه. ولكنه لم يكن يزيد في جوابه لهم على أن يقول - وهو منكب على عمله - **إِنْ تَسْخَرُوا مِنِّي فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ** كما تسخرون، أي سوف تجدون عاقبة سخريتكم هذه بلاء يتلبس بكم (البوطي، 1999: 268-270).

والذي يهتم بدراسة هذا التفسير أن الشيخ البوطي سلك في أسلوبه هنا بالأسلوب الأدبي، فحينما فسر أول الآيات ذكر أنه مرّ دهر طويل على نوح وهو يدعو قومه إلى الله ويناشدهم الانصياع إلى منطق العقل ووحى الضمير دون جدوى، ظهر من كلام هذا الشيخ أن الضمير له وحي وأن العقل له منطق. مع أن أصل المنطق هو النطق بمعنى الكلام وأصل الوحي هو الكلام الخفي حتى لا يسمع بالسرعة. فأضاف الصفتين من صفات النطق إلى الشيئين الجامدين. وذلك لأن هذين الشيئين قوة عظيمة بحيث لو استعملتا حق الاستعمال لكان لهما أثر كبير في الإنسان نطقا وكلاما. فكان هذا الأسلوب من أنواع المجاز العقلي بإضافة السبب إلى مسببه كما في مثال أشبع الطعام بمعنى أشبع الله بالطعام. وهذا من نوع الأسلوب الأدبي بإلباس المعنوي ثوب المحسوس (علي حازم ومصطفى أمين، 1961: 13).

والمجاز العقلي هو إسناد الفعل أو ما في معناه أي لفظ دال على معنى الفعل التضميني وهو الحدث كاسم الفعل والمصدر واسمي الفاعل والمفعول والصفة المشبهة واسم المنسوب وأمثلة المبالغة واسم التفضيل والظرف والجار والمجرور إذا كانا مستقرين إلى غير ما هو له عند المتكلم (محمد ياسين بن عيسى الفاداني، 1992: 131).

ويؤيد حسن هذا الأسلوب الأدبي تفسير الشيخ البوطي بقوله (ولكن كيف يصنع السفينة وهو لم يمارس هذا العمل من قبل، وكيف يتأتى أن يفعل ذلك باطمئنان وفي سلام، وإن قومه الذين لم ينفكوا يؤذونه سيفسدون عليه عمله؟) ووجه أدبيته أنه أتى بحسن العبارة وملوحة التعبير حيث بدأ بالسؤال قبل تفسير الآية التالية ثم أجابه بقوله والجواب تراه في قوله عزّ وجلّ: **وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحِّينَا** أي اصنعه ولا تبال بسخرية قومك، فإنما ستصنعه متلبسا برعايتنا وحفظنا؛ ولا تفرق الفكر في مشكلة جهلك بصنعه، فإنما ستصنعه من وراء وحينا وإلهامنا. فحسن خيال الشيخ

البوطي في نظر تحير نوح أولا وكيفية تسلية ربنا جل جلاله له. فحسن اختيار العبارات هكذا من أجود علامات الأسلوب الأدبي فإنه يجب أن يكون جميلا رائعا بديع الخيال ثم واضحا قويا (علي حازم ومصطفى أمين، 1961: 15).

وبقي أيضا من نوع الأسلوب ما يسمى بالأسلوب العلمي الذي كان الشيخ البوطي مسميا كتابه هذا بالتأمل العلمي الأدبي. وقد كان الباحث كما قاله في الباب الثالث يحاور مع أحد تلميذ الشيخ محمد سعيد رمضان البوطي عن معنى هذا التأمل العلمي، أهو التفسير العلمي أم الإسلوب الأدبي؟ فأجاب بأن الاحتمال الظاهر هو الأسلوب الأدبي (المقابلة المفتوحة مع الأستاذ نجيب البخاري يوم الجمعة 26 فبراير 2016).

ويظهر هذا الأسلوب العلمي الذي هو أهدأ الأساليب وأكثرها احتياجا إلى المنطق السليم والفكر المستقيم وفيه الوضوح وأثر القوة والجمال وحسن تقريره للمعنى في تعليل هذا الشيخ عن قوله تعالى (إنهم مغرقون) بأنه لما نهي الله سبحانه بقوله (ولا تخاطبني في الذين ظلموا) أي لا تكلمني في شأنهم باسترحام ودعاء بعد اليوم فقد قضى الأمر بإغراقهم وسينفذ قضاء الله فيهم وشيكا. ولبيان ضرورة نفاذ هذا القضاء عبر بصيغة الماضي: إنهم مغرقون (البوطي، 1999: 270).

ومما امتاز به تفسير الشيخ البوطي من سائر التفاسير أيضا لونه الأدبي المخلوط باللون الصوفي، والمشهور في هذا العصر هو الأدبي الاجتماعي. فاللون الأدبي يعني به الباحث كما قاله الذهبي هو معالجة النصوص القرآنية معالجة تقوم أولاً وقبل كل شيء على إظهار مواضع الدقة في التعبير القرآني، ثم بعد ذلك تُصاغ المعاني التي يهدف القرآن إليها في أسلوب شيق أخاذ، ثم يطبق النص القرآني على ما في الكون من سنن الاجتماع، ونُظّم العمران (الذهبي، 2004: 232).

وفي تطبيق هذا التعريف على تفسير الشيخ البوطي، وجد الباحث أنموذجا كثيرا في مواضع عدة. فمنها عندما فسر الشيخ البوطي قوله تعالى (أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ)، شرح الشيخ بأن المراد من السماوات هنا كل هذه الأجرام العلوية بما فيها من كواكب وغيرها، والسمااء في قوله: وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً هو جهة العلو، إذ كل ما علاك فأظلك فهو في اللغة سماء. وكان من مقتضى نسق الآية أن يقول: فأُنبِت به حَدَائِقَ، فلماذا وقع الالتفات عن ضمير الغائب إلى ضمير المتكلم؟ إن الذي اقتضى ذلك هو أن أحدا لا ينسب إلى نفسه خلق السماوات وإنزال الأمطار، فحسب السؤال عن خالقها ومنزلها، بهذا الأسلوب، منبها إليه جلّ جلاله. أما إنبات الزرع والأشجار فكثيرا ما ينسبه صاحب البذر والسقي إلى نفسه فيقول: أنبت الزرع والبستان، فناسب الالتفات به إلى ضمير المتكلم تأكيدا لاختصاص الإنبات بذاته تعالى وإشعارا بأن ظهور النبات يشق باطن الأرض بألوانه الزاهية وطعومه المختلفة وخصائصه المتنوعة إنما هو من فعل الخالق جلّ جلاله، ومن أجل المزيد من تقرير هذه الحقيقة قال بعد ذلك ما كان لكم أن تنبتوا شجرها (البوطي، 1999: 281).

فيظهر من هذا البيان مواضع الدقة في التعبير القرآن بأن يكشف الشيخ البوطي عن حكمة الأسلوب القرآني بنقل الضمير الغائب إلى المتكلم بهذا التفسير العجيب. وقد سبقه إلى مثل هذا البيان الشيخ الرازي في تفسيره بأن قال المسألة الثالثة: يقال ما حكمة الالتفات في قوله: فَأَنْبَتْنَا؟ جوابه: أنه لا شبهة للعاقل في أن خالق السموات والأرض ومنزل الماء من السماء ليس إلا الله تعالى، وربما عرضت الشبهة في أن منبت الشجرة هو الإنسان، فإن الإنسان يقول أنا الذي ألقى البذر في الأرض الحرة وأسقيها الماء وأسعى في تشميسها، وفاعل السبب فاعل للمسبب، فإذا

أنا المنبت للشجرة فلما كان هذا الاحتمال قائما، لا جرم أزال هذا الاحتمال فرجع من لفظ الغيبة إلى قوله: فأنبثنا وقال: ما كان لكم أن تنبتوا شجرها لأن الإنسان قد يأتي بالبذر والسقي والكرب والتشميس ثم لا يأتي على وفق مراده والذي يقع على وفق مراده فإنه يكون جاهلا بطبعه ومقداره وكيفيته فكيف يكون فاعلا لها، فلهذه النكتة حسن الالتفات هاهنا (الرازي، 1420: 563)، ولكن ما زاد الرازي البيان في التعبير القرآني بعده يعني قوله تعالى (ما لكم أن تنبتوا شجرها) الذي قال عنه البوطي إنه تقوية لما قبله من أجل المزيد لتقرير هذه الحقيقة، ولم ير الباحث من سبقه بهذا البيان.

وفي الواقع، وجد الباحث أن الشيخ البوطي اتخذ الأدب واللغة في دراسة القرآن، وحاول أيضا أن يبرز قواعد وأساسا من القرآن كي يحل مشاكل المجتمع. فمثلا، عندما تحدث عن سياق الحديث عن رعاية الله للإنسان وحفظه له في غدوه ورواحه، ذكر أن في الآية قاعدة جرت عليها سنة الله في الكون: إن الله لا يغير ما يقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم، أي إن الله عز وجل لا يغير ما تلبس يقوم من النعمة وما قد حف بهم من الرعاية التي وصفها، حتى يغيروا ما قد استقر في نفوسهم من فطرة الاستقامة على الحق، التي فطر الله الناس عليها، فيجئونها إلى نقائصها من الآثام والشور. وإذا تأملت في صياغة هذه الجملة ودقة سبكها ووجيز ألفاظها مع شمول المعنى واتساعه رأيت من ذلك عجا لا ينتهي إلا عند ما تذكر أنه بيان الله وكلامه المعجز (البوطي، 1999: 242).

فهذا دليل على أن الشيخ البوطي لم يترك ماثرا للمجتمع إلا وهو يبحثه أيضا، فيكون لون تفسيره من الأدبي الاجتماعي أيضا. غير أنه مما امتاز به الشيخ البوطي في تفسيره عن سائر المفسرين أنه يتخذ اللون الصوفي في تفسيره. وقبل كل شيء أراد

الباحث أن يحقق معنى اللون الصوفي كي لا يتحرر ولا يركض أمره. والمراد من اللون الصوفي في التفسير كما كتبه الباحث في الباب الثاني هو الذي يسمى بالتفسير الإشاري. والتفسير الإشاري هو تأويل القرآن بغير ظاهره لإشارة خفية تظهر لأرباب السلوك والتصوف ويمكن الجمع بينها وبين الظاهر المراد. واختلف فيه. وشروط قبوله ألا يتنافى وما يظهر من معنى النظم الكريم، وألا يدعى أنه المراد وحده دون الظاهر وألا يكون تأويلا بعيدا سخيفا، وألا يكون له معارض شرعي أو عقلي، وأن يكون له شاهد شرعي يؤيده (الزرقاني، 2001: 67).

والتفسير الصوفي ينقسم إلى نوعين. وهما صوفي نظري وصوفي إشاري. وقد سلك هذا الاتجاه في التفسير فلاسفة الصوفية ويعد ابن عربي شيخ هذه الطريقة في تفسيره (الفتوحات المكية). والفرق بين النظري والإشاري هو أن التفسير الصوفي النظري يبني على مقدمات علمية تنقدح في ذهن الصوفي أولا ثم ينزل القرآن عليها بعد ذلك ، وأما التفسير الإشاري فلا يركز على مقدمات علمية بل يركز على رياضة روحية يأخذ بها الصوفي نفسه حتى يصل إلى درجة تنكشف لها فيها من سحف العبارات هذه الإشارات القدسية، وتنهل على قلبه من سحب الغيب ما تحمله الآيات من المعارف السبحانية. وأن التفسير الصوفي النظري يرى صاحبه أنه كل ما تحمله الآية من المعاني وليس وراءه معنى آخر يمكن أن تحمل الآية عليه ، هذا بحسب طاقته طبعاً. أما التفسير الإشاري فلا يرى الصوفي أنه كل ما يراد من الآية ، بل يرى أن هناك معنى آخر تحمله الآية ويراد منها أولاً وقبل كل شيء ذلك هو المعنى الظاهر الذي ينساق إليه الذهن قبل غيره (حسين الذهبي، 2004: 18). وبعد التأمل، وجد الباحث من تفسير الشيخ البوطي أنه يستعمل كلمة العبودية في تحليل المشاكل الاجتماعية عنده. وذهب أن العبودية من أهم تساوي

الناس كلهم في الإنسانية. بين رحمه الله أن الله تعالى قرر عبودية الإنسان لله عز وجل، لا فرق بين عرق وآخر أو بيئة وأخرى ولم يلحظ في ذلك أي خصوصية أو امتياز بين العرب الذين كان الرسول منهم وبين أي جماعة أخرى من الناس. فقال: إِنَّ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا، لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا، وقال: وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ (البوطي، 1999: 217).

فالعبودية لفظ اختصت ببحثها العميق الصوفية حتى بوب الشيخ علي القشيري بقوله باب العبودية قال تعالى واعبد ربك حتى يأتيك اليقين (القشيري، 1992: 14)، ولكن عندما لوحظ بما في الآية يعني قوله تعالى (آتي الرحمن عبدا) يحتمل أيضا صدق ما أشار إليه الشيخ البوطي من أن قيمة الإنسانية هي في العبودية لله جل جلاله. فيكون هذا التفسير يعني مساواة الناس في العبودية في هذه الدنيا من دون فرق أي جماعة منهم المأخوذ من القرآن المتبادر في الذهن أن معناه كونهم سيأتون الرحمن عبدا يوم القيامة من التفسير الإشاري الصوفي. وقد أشبع الشيخ البوطي في كون العبودية من أسباب حل المشكلات في كتبه المسماة بالإسلام ملاذ كل المجتمع والعناية بالعبادات أساس لا بد منه لتثبيت المجتمع وحرية الإنسان في ظل عبوديته لله ومنهج الحضارة الإنسانية في القرآن التي سيأتي عرضها في المطلب الثاني من هذا المبحث.

ومن المهتم أيضا في هذا الموضوع، أن هناك فرقا بين التفسير الإشاري والتفسير النظري بجانب ما مر من الفروق. لأنه قد يزعم بعض الناس أن كلا منهما شيء واحد مع أنه مباين. فالتفسير الصوفي النظري والتفسير الصوفي الإشاري يعتمدان منهجين مختلفين، فالأول يعتمد المنهج الرمزي الذي لا يقف عند دلالة النص اللغوية، ويحاول أن يفرض على الخطاب القرآني آراء وأفكارا مسبقة بحيث يجعله

يرمز إليهما. أما الاتجاه الثاني فهو يعتمد المنهج الإشاري، أي ينطلق من إشارة النص، وهي ما يرادف إيجاءاته، بحيث يكون النص بالنسبة للمفسر منطلقاً إلى آفاق رحبة يومية إلهية. ومن ثم فإنه يظل مرتبطاً بالنص وله شاهد فيه (أحمد بزوي الضاوي، 2006: 1634).

ويؤيد هذا المظهر الإشاري من التفسير تحليل الشيخ البوطي عن حكمة الوقف عند قوله تعالى (ما كان لكم أن تنبتوا شجرها) ثم استمر بقوله تعالى (ألله مع الله؟)، وكذا عند قوله تعالى (وجعل بين البحرين حاجزا) ثم استمر بقوله تعالى (ألله مع الله؟)، ذكر رحمه الله أنما تقف الآية هنا أيضاً عن الإجابة على هذا السؤال انتظاراً لإجابة المخاطبين، وإتاحة للفكر المتأمل أن ينصت خاشعاً إلى الجواب ينبعث من فم الكون كله: إنه الله وحده. ويأتي السؤال مرة أخرى مرتباً على هذا الجواب المعروف: ألله مع الله؟! أبعد هذا كله يوجد أي إله آخر إلى جانب الله جلّ جلاله؟ (البوطي، 1999: 282).

وهذا اللون الصوفي إنما تأثر به الشيخ محمد سعيد رمضان البوطي عن والده الشيخ ملا رمضان البوطي، فقد بين رحمه الله أن والده صوفي كان ديدنه ودأبه في الدنيا تعظيم الله عز وجل، وأن الشيخ البوطي شكر على الله أن أنعمه بأن يدخله الله وأولاده في شفاعته أبيه بعد شفاعته النبي صلى الله عليه وسلم، وحمد الله تعالى على أن نشأه على عين والده هذا تعليماً وتربية وتهذيباً (البوطي، 1995: 196).

ومما امتاز به بنية تفسير الشيخ البوطي عن غيره هو تشديده في التصوير كي يتجلى أسلوب تصوير القرآن. وقد أقر هذا الشيخ تأثره بهذا الأسلوب التصويري بالشيخ سيد قطب. وقال إنه مرجع ذو أهمية بالغة في هذا الباب. فمظهر التصوير أنواع منها ما هو إخراج مدلول اللفظ من دائرة المعنى المجرد إلى الصورة المحسوسة

المتخيلة. ومنها تحويل الصور من شكل صامت إلى منظر متحرك حي. ومنها تضخيم المنظر وتجسيمه حينما يكون الجو والمشهد يقتضيان ذلك (البوطي، 1999: 170). التصوير أو التشخيص البياني هو التعبير بالصورة المحسوسة المتخيلة عن المعاني الذهنية والحالات الشعورية والمشاهدات والأحداث الحقيقية، وهذا النهج التشخيصي هو الأداة المفضلة في القصص القرآني (عبد الراضي، 1993: 78). وفائدة هذا التعبير القرآني تناول القصة بريشة التصوير المبدعة التي يتناول بها جميع المشاهد والمناظر التي يعرضها فتستحيل القصة حادثاً يقع ومشهداً يجري لا قصة تُروى ولا حادثاً قد مضى (سيد قطب، 1966: 156).

ولزيادة الإيضاح من هذا الأسلوب التصويري في القرآن، مثل الشيخ البوطي باثني عشر مثالا ولا يستطيع أن يفيض في بيان الأمثلة والنماذج لأنه التزم في هذا الكتاب القصد في البحث كي يتسع المجال لغرض المسائل والبحوث الأخرى. فمن هذا المثل قوله تعالى (وإن كان كبر عليك إعراضهم فإن استطعت أن تبغي نفقا في الأرض أو سلما في السماء فتأتيتهم بآية ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكون من الجاهلين) من سورة الأنعام 35، فعند هذه الآية قال الشيخ رحمه الله:

فقد صوّر أولا التألم من إعراضهم، في صورة شيء قد كبر وضخم حجمه ينوء الرسول صلّى الله عليه وسلّم تحت ثقله ويضيق ذرعا به. ثم صوّر الجهد الذي لن يأتي منه بطائل إن هو أجهد نفسه به، بصورة من يريد أن يتخلص من كل الثقل العالق به، فهو ينبعث، في قلق وبحث دائبين، نحو كل الجهات، وخلف كل حجاب وستر، ليعثر على ما قد ينشط به من هذا العقل المتشبث به. فأنت ترى الآية قد أخرجت هذا المعنى الفكري في مظهر شيء محسوس، ثم بثّ فيه الحركة والحياة كما قد رأيت، ثم جسّمت

الفكرة نفسها في هذه الصورة الحيّة المتحركة وخاطبت بذلك كله الخيال قبل أن تخاطب مجرد الفكر والذهن (البوطي، 1999: 172).

وكذا وجد الباحث أنواعا من التصوير الشديد عندما حاول الشيخ البوطي في التفسير، فمثلا حينما فسر قوله تعالى (وكُلِّمًا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ) جملته حالية تصور لك الأمر مستمرا متكررا؛ ذلك أنهم رأوه في عمله هذا مادة جديدة هائلة للسخرية، خصوصا وإنه يقوم بهذا العمل في مكان لا حاجة ولا محل فيه للسفن إذ كانت القصة ما بين بلاد الشام والعراق؛ فهم كلما مرّوا به وقفوا عنده يسخرون منه. ولكنه لم يكن يزيد في جوابه لهم على أن يقول وهو منكّب على عمله إن تسخروا منا فإنا نسخر منكم كما تسخرون، أي سوف تجدون عاقبة سخرتكم هذه بلاء يتلبس بكم. ثم يقول: مؤكدا المعنى المقصود بقوله، فإنا نسخر منكم: فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ أي فسوف ينكشف لكم الحجاب عن الفريق الذي يفجّؤه عذاب يخزيه في الدنيا ثم ينزل به عذاب لا ينفك عنه في الآخرة (البوطي، 1999: 271).

وكذا في قوله تعالى (إما أن يبلغ عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما) من سورة الإسراء 23، ذكر الشيخ أن الحكمة من وجوده قوله تعالى (عندك) والحال أنه يستغنى عنه هي تصوير تثبت في إحساس المخاطب معنى هائلا يثير فيه النزوع إلى الشفقة والرقّة والعطف. فالآية تصور بهذه الكلمة كيف أن الكبر والضعف قد وضع كلا من الوالدين في كنف الابن وتحت رعايته بعد أن كان الابن هو الضعيف الذي يعيش في كنفهما وتحت رعايتهما.

والقصد إلى تصوير هذا المعنى هو الذي اقتضى تقديم لفظ «الكبر»، وهو مفعول، على لفظ: أحدهما وهو فاعل، ولو اختلف نسق هذه الألفاظ وترتيبها اختلافاً ما، لاختفت الصورة وبطل أن يكون في الآية شيء من هذا الإيحاء (البوطي، 1999: 259).

ولمزيد الإيضاح، فالمقصود من التصوير هو عرض المعنى صورة والأثر حركة والحالة مشهداً شاخصاً للخيال (سيد قطب، 1412: 288)، ومعظم أمثلة التصوير الفني مشحونة بالمجاز (حسن حبنكة، 1996: 227)، وإنّ التصوير الفني الذي يُبرز في الكلام صورة الواقع المتحدّث عنه، حتّى كأنّه مُشاهدٌ ملموس بحركته وحياته ورونقه وجماله هو من أرفع الأدب وأجمله، وكم من واقع هو أجمل وأكمل من الخيال (حسن حبنكة، 1996: 54).

بقي سؤال متردد في خاطر الباحث، وهو أنه لو كان الشيخ البوطي متأثر بل مقتد لما سلك عليه سيد قطب في التصوير الفني فما امتاز به البوطي عنه؟ والذي يمكن الباحث إجابته كون الشيخ البوطي مجملاً لما فصله سيد قطب ومختصراً لما أطنبه، فنسبة البوطي من سيد قطب كنسبة الجلال السيوطي في تفسير الجلالين من الشيخ فخر الدين الرازي من حيث إنه ذكر أنواع إعجاز القرآن بغير استيعاب وتطويل للاختصار. وقد اعتذر الشيخ البوطي بعدم إتاحة الوقت له وليكون هذا الكتاب كالمدخل في التذوق القرآني، فأكرم به وارثاً وموروثاً.

والشيخ البوطي قد يودع في تفسيره ما يلائم بالعلمي، فمثلاً في قوله تعالى (أمن جعل الأرض قراراً وجعل خلالها أنهاراً وجعل لها رواسي وجعل بين البحرين حاجزاً أله مع الله؟)، فسر الشيخ البوطي لفظ القرار بما يشمل نظام الجاذبية التي فيها، وكذا لفظ الحاجز فسرّه باختلاف طبيعة المائين، وفسر قوله تعالى (وما تغيض

في الأرحام) بكل ما ينقصه الرحم أو يزيده في جثة المخلوق أو في مدة حمله له. ولكن ما استوعب هذا الشيخ بالمصطلحات العلمية والألفاظ الفلسفية، بل اقتصر على تعرض بعض هذه المصطلحات مع الاستمرار في بيان جانب الأدب والهدائي فيه.

وبهذا البيان، يمكن للباحث أن يعتبر تفسير هذا الشيخ من التفسير بالمعقول من حيث المصدر لعدة نقط، منها استعانتة على العقل في طلب المناسبة بين الآيات وطلب الأسلوب التصويري من القرآن. وكذا حاول البوطي أن يظهر مصطلحات العلمي بالسرعة. ونظر البوطي أيضا في الأدب واللغة وحسن التعبير القرآني ولو بدون الدقة والتدقيق. وأما من حيث المنهج، فإن هذا التفسير يصح أن يعتبر تفسيراً موضوعياً. وبالخصوص، يسمى موضوع السورة. ولكن ليس سورة كاملة بل بعض السورة لتكون كالأنموذج. ولونه من الأدبي الاجتماعي المخلوط باللون الصوفي ولو بلا استيعاب كما سلك عليه القشيري والسلمي مثلاً. وذلك لما اعتذر به البوطي من طلب مجرد التذوق القرآني بدون التفحيص. فتلخص بأنه موضوع السورة ومصدره بالمعقول ولونه أدبي.

ب. تحليل تطبيق منهج تفسير الشيخ محمد سعيد رمضان البوطي في المبادئ

والإنسانيات

بدأ الشيخ محمد سعيد رمضان البوطي قبل تفسيره في المبادئ والإنسانيات بذكر الأساس الأول كما هو منهجه بباب سماه بالنزعة الإنسانية في القرآن. وكان المراد من هذه النزعة الإنسانية عنده هو السمة الإنسانية المطلقة. فهو في كل ما يصدر عنه من عقيدة وأخلاق وتشريع وعظات، إنما يقدم من ذلك كله ثوبا قد فصل على قدر الحقيقة الإنسانية كلها أينما وجدت وكيفما تنوعت. فليس المراد من

هذه النزعة الإنسانية عند الشيخ البوطي هو ما صورته البعض من أنه اتجاه فكري عام تشترك فيه العديد من المذاهب الفلسفية والأدبية والأخلاقية والعلمية (مانع بن حمد الجهني، 1420: 799).

وذكر الشيخ البوطي في كتاب سماه بالإسلام ملاذ كل المجتمعات عنوانا صورته (لم ذا أخفقت المذاهب الإنساني الأخرى)، سرد أسباب التناقض هذه النظرية الإنسانية في مذاهبها، ومن أهمها اختلاف ما في الكيان والذات من فهم ما يكون أصلح لكل الإنسان. بخلاف الإسلام يعني هذا الدين، فإنه يبدأ عمله في حياة الإنسان بعرض إخباري وهو يمعن في تجلية هذه الحقائق الذاتية وإبرازها أمام فكره ومشاعره بالأدلة والبراهين المختلفة لا يزيد على ذلك شيئا. فإذا تنبه ذلك كان إيذانا بأن يعيد الإنسان النظر إلى نفسه بطبيعة الحال وأن يبدأ فيتعرف على هويته من جديد. وسيدعوه ذلك ولا ريب إلى أن يقيد حريته بمقتضى ذلك الواقع الذي يفرض نفسه والذي لا اختيار له في رفضه أو قبوله (البوطي، 1993: 32).

وقسم الشيخ البوطي إنسانية النزعة في القرآن إلى أمرين، الأول ما سماه بالموضوع والثاني ما سماه بالأسلوب. ففي الموضوع الإنساني، أكد الشيخ أن توجه الخطاب في القرآن على الإنسان مطلق من دون التفصيل والتفريق بينهم. ويتمثل هذا الموضوع في العقيدة والتشريع والمبادئ الأخلاقية.

ففي العقيدة، قرر الله سبحانه مالكه للعالم كله. فقال عز من قائل (الحمد لله رب العالمين) من دون تفصيل أي العالم المراد من هذا اللفظ. وكذا قوله تعالى (فلله الحمد رب السماوات ورب الأرض رب العالمين). وكذا قرر سبحانه أنه بعث النبي صلى الله عليه وسلم للعالم خصوصا للناس كلهم من دون فرق أي بيئة ولغة ومجتمع. كل سوى. ويظهر هذا في مثل قوله تعالى (قل يا أيها الناس إني رسول الله

إليكم جميعاً) وقوله سبحانه (تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً) وقال (وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً). وكذا قرر سبحانه أن العبودية من الناس كلهم لله من دون الفرق بينهم. ويظهر هذا في مثل قوله تعالى (إن كل من في السماوات والأرض إلا آتي الرحمن عبداً لقد أحصاهم وعدهم عداً) وقوله سبحانه (وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير).

والشيخ البوطي رحمه الله يلاحظ العبودية كالأمر الحاتم الواجب علينا الجهود بنيله. العبودية تحلل مشاكلنا اليوم، والعبودية سبب فلاح هذه الأمة الإسلامية، والعبودية أساس لا بد منه لتثبيت هذه المجتمع. بل أشبع الشيخ مسألة العبودية هذه في كتبه منها (حرية الإنسان في ظل عبوديته لله). ذكر فيه الشيخ أن المقصود من العبودية هي منتهى الذل الصادر عن منتهى الضعف والعجز. غير أن كثير من الناس لا يحسون بهذه العبودية وذلك لالتباسهم في الأفعال الاختيارية للإنسان هل هي طوعية من الإنسان بدون التدخل من أي خارجي قط أم لا؟ والحال أن الإنسان ليس فاعلاً لشيء من الفكر والعقل لأن الوعي أشرق في دماغه دون أي تسبب أو قصد منه. وهذه هي معنى العبودية. ولذلك ليس للإنسان المفر والنفور من هذه العبودية. ولكن الإنسان بين الفريقين المتفرقين، فمنهم موقن بهذه العبودية رغم سلوكه وعمله ومنهم منكر عليها. ولكن مما يجب تنبيهه أن الإنسان وإن كان في غاية العبودية غير أنه له اختياراً من نفسه أراد الله (البوطي، 1992: 20-25).

وأطنب الشيخ البوطي في مسألة اختيار الإنسان وتخييره في كتاب سماه (الإنسان مسير أم مخير؟)، ذكر أن المذهب الصحيح عند أهل السنة أن الإنسان غير مجبور مطلقاً بل له اختيار في أفعاله الاختيارية. وأن المقصود من التقدير ليس إلزاماً من الله وإجباراً منه على الإنسان بل معناه هو علمه سبحانه بأفعال العباد كلهم.

ويحتج الشيخ بقوله تعالى (لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت) وبقوله تعالى (كسبت قلوبكم) وبقوله تعالى (وما تشاؤون إلا أن يشاء الله رب العالمين) أي وما تشاؤون إلا مشيئة الله في أن يشاؤوا، فلهم مشيئة حرية بسبب أن الله يشاءهم كذلك (البوطي، بدون السنة: 90).

وقد يغفل كثير من الناس عن أهمية هذه الحقيقة العبودية، ولعل من أبرز مظاهرها وآثارها ما نعلمه جميعا من أن سائر المذاهب الإنسانية من فلسفية واجتماعية وأخلاقية قد أخفقت قديما وحديثا في ضبط سلوك المجتمعات وتوجيهها إلى ما هو الأليق والأصلح. فقد واجهت هذه المذاهب المقاومة والتسفيه وكانت العقابة إحدى النتائج، منها إما أن يسود المذهب بالقوة والإجبار وإما أن يتغلب الطموح إلى الحرية المطلقة واللا قيد وإما أن يستمر العراك بين الطرفين إلى ما شاء الله. فتمثلت في النظم الغربية الديمقراطية، وتمثلت في النظم الاستبدادية حديثا وقديما، وتمثلت أيضا في المجتمعات التي يأكل بعضها بعضا، فلا سبيل من هذه المشاكل كلها إلا بالمشاعر العبودية (البوطي، 1992: 62).

وإذا اتضح أن الإنسان لا مفر من هذه العبودية فالذي يجب عليه أن يحس ويعلم وينظر في هذه العبودية. وذلك بامثال أوامر الله واجتناب نواهيه بنظر أن الله فوق كل شيء. ويتمثل هذه العبودية في قوله تعالى (ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتميما وأسيرا إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا)، وفائدة هذه العبودية إخلاص العمل وعدم الجزع والخيانة عندما كان المتصدق عليه أو من أحسن إليه لا يعطي جزاء أو شكورا بل إيداء. وعلى هذا المنوال قال رسول الله (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره) أي بلا نظر إلى صفة هذا الجار هل هو مسيء إلينا أم محسن، إنما نكرمه لأجل الله وعبوديتنا له سبحانه، وعباد الرحمن إذا

عملوا عملا اعتمدوا على الله وعلى قوله تعالى إنا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا، فكان جزائهم من هذا العمل قوله تعالى فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة وسرورا وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا (محمد حسين يعقوب، بدون السنة: 139). وفي التشريع، لم يلفت الله سبحانه النظر إلى طائفة من الناس خاصة. بل ذكر الله جل جلاله أنواع الشرائع للناس كافة. وخصوصا في ميزان العدالة. فلم يفرق سبحانه في العدالة بين المسلم والكافر وبين الذكر والأنثى وبين الأمير والرعية. وهذه العدالة متجسدة في حديث طعمة بن أبيرق (البوطي، 1999: 219). والحديث في الحقيقة طويل ولخصه البوطي أقل من صفحة وتماه كما رواه الحاكم في المستدرک هكذا:

(8164) حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ثنا أحمد بن عبد الجبار ثنا يونس بن بكير حدثني محمد بن إسحاق حدثني عاصم بن عمرو بن قتادة عن أبيه عن جده قتادة بن النعمان رضي الله عنه قال كان بنو أبيرق رهطا من بني ظفر وكانوا ثلاثة بشير وبشر ومبشر وكان يكنى أبا طعمة وكان شاعرا وكان منافقا وكان يقول الشعر يهجو به أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يقول قاله فلان فإذا بلغهم ذلك قالوا كذب عدو الله ما قاله إلا هو فقال أو كلما قال الرجال قصيدة ضموا إلي بأن أبيرق قالها متخطين كأنني أحشاهم جدد الإله أنوفهم فأبأنها وكانوا أهل فقر وحاجة في الجاهلية والإسلام وكان عمي رفاعه بن زيد رجلا موسرا أدركه الإسلام فوالله إن كنت لأرى أن في إسلامه شيئا وكان إذا كان له يسار فقدمت عليه هذه الضافطة من السدم تحمل الدرمل ابتاع لنفسه ما يحل به فأما العيال فكان يقيتهم الشعر فقدمت ضافطة وهم الأنباط تحمل درمكا فابتاع رفاعه حملين من شعر فجعلهما في علية له وكان في عليته درعان له

وما يصلحهما من آلتهم فطرقة بشير من الليل فخرق العلية من ظهرها فأخذ الطعام ثم أخذ السلاح فلما أصبح عمي بعث إلي فأتيته فقال أغير علينا هذه الليلة فذهب بطعامنا وسلاحنا فقال بشير وإخوته والله ما صاحب متاعكم إلا لبيد بن سهل لرجل منا كان ذا حسب وصلاح فلما بلغه قال أصلت والله بالسيف ثم قال أي بني الأيبرق وأنا أسرق فوالله ليخالطنكم هذا السيف أو لتبينن من صاحب هذه السرقة فقالوا انصرف عنا فوالله إنك لبريء من هذه السرقة فقال كلا وقد زعمتم ثم سألنا في الدار و تحسسنا حتى قيل لنا والله استوقد بنو أبيرق الليلة وما نراه إلا على طعامكم فما زلنا حتى كدنا نستيقن أنهم أصحابه فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلمته فيهم فقلت يا رسول الله إن أهل بيت منا أهل جفاء وسفه غدوا على عمي فخرقوا علية له من ظهرها فغدوا على طعام وسلاح فأما الطعام فلا حاجة لنا فيه وأما السلاح فليردوه علينا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سأنظر في ذلك وكان لهم ابن عم يقال له أسير بن عروة فجمع رجال قومه ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إن رفاعة بن زيد وابن أخيه قتادة بن النعمان قد عمدا إلى أهل بيت منا أهل حسب وشرف وصلاح يأبنونهم بالقبيح ويأبنونهم بالسرقة بغير بينة ولا شهادة فوضع عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بلسانه ما شاء ثم انصرف وجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلمته فجبهني جبها شديدا وقال بئس ما صنعت وبئس ما مشيت فيه عمدت إلى أهل بيت منكم أهل حسب وصلاح ترميهم بالسرقة وتأبنونهم فيها بغير بينة ولا تثبت فسمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أكره فانصرف عنه ولوددت أني خرجت من مالي ولم أكلمه فلما أن رجعت إلى الدار أرسل إلي عمي يا ابن أخي ما صنعت؟ فقلت والله لوددت أني خرجت من مالي ولم

أكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه وأيم الله لا أعود إليه أبدا فقال الله المستعان فنزل القرآن (إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيما) أي طعمة بن أبيرق فقراً حتى بلغ (ثم يرم به بريثا) أي ليبد بن سهل (ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم أن يضلوك) يعني أسير بن عروة وأصحابه ثم قال (لا خير في كثير من نجواهم) إلى قوله (و يغفر ما دون ذلك لمن يشاء) أي كان ذنبه دون الشرك فلما نزل القرآن هرب فلحق بمكة وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الدرعين وأداتهما فردهما على رفاعه، قال قتادة فلما جئته بهما وما معهما قال يا ابن أخي هما في سبيل الله عز وجل فرجوت أن عمي حسن إسلامه وكان ظني به غير ذلك وخرج ابن أبيرق حتى نزل على سلامة بنت سعد بن سهل أخت بني عمرو بن عوف وكانت عن طلحة بن أبي طلحة بمكة فوقع برسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه يشتمهم فرماه حسان بن ثابت بأبيات فقال أيا سارق الدرعين إن كنت ذاكرًا بذي كرم بين الرجال أوداعه وقد أنزلته بنت سعد فأصبحت ينازعها جلد استه وتنازعه فهلا أسيرا جئت جارك راغبا إليه ولم تعمد له فتدافعه ظننتم بأن يخفى الذي قد فعلتم وفيكم نبي عنده الوحي واضعه فلولا رجال منكم تشتمونهم بذاك لقد حلت عليه طوالعه فإن تذكروا كعبا إلى ما نسبتم فهم من أدسم ليس فيه أكارعه وجدتهم يرجونكم قد علمتم كما الغيث يرجيه السمين و تابعه فلما بلغها شعر حسان أخذت رحل أبيرق فوضعتة على رأسها حتى قذفته بالأبطح ثم حلقت وسلقت وخرقت وخلفت إن بت في بيتي ليلة سوداء أهديت لي شعر حسان بن ثابت ما كنت لتنزل علي بخير فلما أخرجته لحق بالطائف فدخل بيتا ليس فيه أحد فوقع عليه فقلته فجعلت قريش

تقول والله لا يفارق محمداً أحد من أصحابه بخير، هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه (الحاكم، 1990: 416).

وقد جمع ابن كثير عدة طرق وروايات هذا الحديث مع اختلاف اسم من فيه ومكانه وسببه ولكن اتحد مضمون هذا الحديث من العدالة اللا فارقة بين المسلم وغيره (ابن كثير، 1999: 405). فلا يجوز للمسلم أن يخادع أو يغش غيره فضلاً أن يقاتلهم ولو بألف حيلة إلا إن بدأونا أول مرة. والعدالة في مصطلح الإسلام هي الوسطية بالمعنى الإيجابي لا السلبي فقط بأن لا يكون جور، لا بل بالمعنى الإيجابي أيضاً وهو اتخاذ الموقف بين التفریط والإفراط وكونها بين الظلمين وكونها حقاً بين الباطلين معتدلاً بين الطرفين فالعدل هو التوسط (محمد عمارة، 2004: 102).

وقد ذكر الشيخ البوطي في كتابه الجهاد كيف نفهمه وكيف نمارسه أن العلماء مختلفون في كون القتال على الكفار هل هو لشركهم أم للعداوة منهم؟ ذهب ومالك وأصحابه والأوزاعي إلى أن سبب القتال هو العداوة والبغضاء على المسلمين، فمتى لم يعتدوا علينا فليس لنا الاعتداء عليهم. وهذا الذي اختاره الشيخ البوطي (البوطي، 1993: 54).

وبالتفصيل، ذكر الشيخ وهبة الزحيلي أن الشافعي ذهب إلى الأول يعني كون سبب القتال هو الشرك. ولزم على مذهبه هذا أنه يجب الجهاد كل سنة فرض كفاية على الأقل ليظهر على الدين كله ولو كره المشركون. قال الزحيلي في التفسير المنير وهل سبب القتال رد العدوان والإيذاء أو الكفر؟ بالأول قال جمهور من الفقهاء، وبالثاني قال جماعة كالشافعية بدليل آية وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً، وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ وفسروا الفتنة بالشرك أو الكفر، وبقوله عليه الصلاة والسلام في الحديث المتواتر الذي أخرجه أصحاب الكتب الستة عن أبي هريرة أمرت أن أقاتل

الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، قال القرطبي فدلّت الآية والحديث على أن سبب القتال هو الكفر، لأنه قال حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً أي كفر، فجعل الغاية عدم الكفر، وهذا ظاهر أي أن المعنى وقتلهم حتى يزول الكفر، ويثبت الإسلام، ونظيره قوله تعالى تقاتلونهم أو يسلمون (الزحيلي، 1418: 187).

وكذا بين الزحيلي في التفسير الوسيط أن قول العوام وأمثالهم من المستشرقين إن الإسلام قام بالسيف دعوى باطلة غير صحيحة ولا ثابتة. أما حروب المسلمين فكانت دفاعية حتى يكف المشركون عن فتنة المسلمين، ويتركوا الناس أحراراً، ولا مانع من وجود ما يسمى بالتعايش الديني السلمي بين الإسلام وأهله وغيره من أهل الأديان (الزحيلي، 1422: 149).

ولتحقيق هذه العدالة، يلاحظ الشيخ البوطي رحمه الله عن الاصطلاح الشائع في عصرنا الحاضر بما يسمى بالتسامح. فذهب الشيخ البوطي أن التسامح بمعنى العفو عن الاعتداء لا يكون صواباً إذا ما يتوجه على جميع الأفراد مع الإيجاب الفقهي لتضمن ذلك على الجور والظلم بين الأمة، فمثلاً عندما طُلب المسلم بالتسامح على الكافر بعد كونهم اعتدوا علينا ولا يجوز لنا القصاص والاعتداء بمثل ما اعتدوا علينا لزم من هذا التسامح وجود الظلم على المسلمين (البوطي، 1993: 142).

وفي الأخلاق والمبادئ، مثل الشيخ البوطي بمبادئ تكريم الوالدين ومبادئ تكريم الناس ومبادئ المسؤولية النفسية. فهذه كلها تمثل النزعة الإنسانية في القرآن. ومن المهم تنبيهه أن الشيخ البوطي أراد أن المبادئ والأخلاق في القرآن لا تكون إلا مطلقة شاملة لكل الناس كافة من دون التفريق بين الأبيض والأسود. ففي تكريم الوالدين قال الله تعالى (وبالوالدين إحساناً)، وفي تكريم الناس قال الله تعالى (ولقد

كرمنا بني آدم)، وفي المسؤولية النفسية قال تعالى (وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا) وفي آية أخرى (ولا تزر وازرة وزر أخرى)، وجد من هذه الآيات أن المعنى الإنساني وحده هو المتمثل فيها وهو الأساس في الدعوة والأمر بها (البوطي، 1999: 221).

وأما من حيث الأسلوب القرآني فيعبر القرآن عن النزعة الإنسانية على السمة الإنسانية الشاملة بلفظ عام دون نظر والتفات إلى سبب خاص. وذلك بالنداءات القرآنية، مثلا قوله تعالى (يا أيها الناس اتقوا ربكم)، وقوله تعالى (يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباسا)، وقوله تعالى (يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا). حتى اتخذ العلماء قاعدة معروفة وهي أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب (البوطي، 1999: 221).

وهذا تلميح واضح لنا من القرآن في أن المقصود بالإنسانية هو التعامل مع الإنسان بلا فرق وتفریق، فالناس كلهم سواء ولا يتفاوت عند الله إلا بالتقوى، فلا يجوز لنا التأذي بالاختلاف بين الناس مثلا، لأنه كثير منا التأذي به. فاختلاف الدين يؤذينا، واختلاف البيئة يؤذينا، واختلاف المدينة يؤذينا، واختلاف البلدة يؤذينا، حتى اختلاف الجنس يؤذينا. يجب علينا أن ننظر الناس بنظر عام شامل لكل واحد منهم. ثم طبق الشيخ البوطي هذا المنوال الأسلوبي للنزعة الإنسانية في تفسيره هذا: **في المبادئ والإنسانيات (من سورة الإسراء من آية: 23 إلى آية 29)** قال الله تعالى:

وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا، إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما، وقل لهما قولا كريما، واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا. ربكم أعلم بما في نفوسكم إن تكونوا صالحين فإنه كان للأوابين غفورا.

وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا. إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا. وإما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولا ميسورا. ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا. إن ربك ييسر الرزق لمن يشاء ويقدر إنه كان بعباده خيرا بصيرا. ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم إن قتلهم كان خطأ كبيرا. ولا تقربوا الزنى إنه كان فاحشة وساء سبيلا. ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف في القتل إنه كان منصورا. ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولا. وأوفوا الكيل إذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ذلك خير وأحسن تأويلا. ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا. ولا تمش في الأرض مرحا إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا. كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها. ذلك مما أوحى إليك ربك من الحكمة ولا تجعل مع الله إلها آخر فتلقى في جهم تعريف عام بالآيات:

تعرض هذه الآيات لبيان أحد عشر مبدأ من أهم المبادئ الإنسانية العامة. مبتدأة ومختتمة بمبدأ التوحيد والعبودية لله عز وجل. وتأتي هذه الآيات بعد آيات سابقة تتحدث عن أهمية القرآن في إصلاح حياة الإنسان ودلالته على النهج القويم، وعن حدود المسؤوليات ونظامها وقيمة كل من الحياتين الدنيوية والأخروية. فهي تأتي بعد منبهات وحوافز تهئ كلاً من النفس والذهن لقبول ما تتضمنه هذه الآيات من مبادئ الإنسانية بقبول حسن.

شرح الآيات:

*وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه. أي أمر ربك ألا تعبدوا إلا إياه، وقد استهل الخطاب بجملة إخبارية للرسول صلى الله عليه وسلم، وهي: وقضى ربك. ثم التفت بالخطاب إلى الناس حينما تحول من الإخبار إلى الإنشاء، فقال: ألا تعبدوا إلا إياه. وذلك لأن الجملة الأولى حكاية فناسب أن يتجه الخطاب فيها إلى النبي عليه الصلاة والسلام، وأما الثانية فأمر وتوجيه، فناسب أن يتجه الخطاب فيها إلى عامة الذين يتجه هذا الأمر إليهم.

فهذا أول مبدأ من المبادئ الأحد عشر، وهو أخطرهما وأهمهما.

ثم أتبعه بالمبدأ الثاني قائلا: وبالوالدين إحسانا، أي وأن تحسنوا بالوالدين إحسانا، تقول. أحسنت به وأحسنت إليه. وإنما جعل رتبة بر الوالدين إثر رتبة توحيد الله وعبادته، لأن الله هو المسبب الحقيقي لوجود الإنسان وعيشه وارتزاقه، والوالدان هم السبب الجعلي والظاهري لكل من الوجود والعيش، فلئن كان المقتضي لعبادة الله أنه الخالق والمنعم الحقيقي، فإن المقتضي لبر الوالدين ما قضت به حكمة الله من أن يكون وجود الإنسان بهما ونشأته عن طريق رعايتهما.

ثم شرح المقصود بالإحسان فقال: إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما. وأصل الجملة: إن يبلغ عندك الكبر ... فركبت إن مع ما التي يسمونها زائدة لتصوير المبالغة في استقصاء الظروف والأحوال، وأدخل نون التوكيد على الفعل لنفس الغرض أيضا، فأصبحت الجملة تقول لك بكل من جرسها ومضمونها: مهما وجدت الشيخوخة قد دبّت إلى أحد من أبويك فليكن موقفك منهما في كل الظروف والأحوال موقف الراحم الشفوق والخادم المحب.

وكان من الممكن لسلامة أصل هذا المعنى أن تستغني الآية عن كلمة «عندك» بأن تقول: إما يبلغن الكبر أحدهما أو كلاهما ... لولا أن

«عندك» هذه تثبت في إحساس المخاطب معنى هائلا يثير فيه النزوع إلى الشفقة والرقّة والعطف. فالآية تصور بهذه الكلمة كيف أن الكبر والضعف قد وضع كلا من الوالدين في كنف الابن وتحت رعايته بعد أن كان الابن هو الضعيف الذي يعيش في كنفهما وتحت رعايتهما.

والقصد إلى تصوير هذا المعنى هو الذي اقتضى تقديم لفظ «الكبر»، وهو مفعول، على لفظ: أحدهما وهو فاعل، ولو اختلف نسق هذه الألفاظ وترتيبها اختلافا ما، لاختفت الصورة وبطل أن يكون في الآية شيء من هذا الإيحاء.

ثم انظر كيف نحتك الآية عن أن تضيق ذرعا بهما في شعورك ونفسك كما نحتك عن إيدائهما في شيء من عملك ومعاملتك، ثم كنت عن الأول بأقل مظهر له وهو التأفف، وكنت عن الثاني بأدنى مظهر من مظاهره وهو القسوة أو الانتهاز في القول، فنهت عن ذلك بدلالة النص، إذ النهي عن أدنى أفراد الشيء أبلغ نص في الدلالة على عموم النهي عن الجنس كله.

* ثم زاد الأمر بالإحسان إلى الوالدين تأكيداً، فصور لك ما ينبغي أن تكون عليه حال الولد من والديه دائماً، وأخرج معنى الرحمة بهما والإحسان إليهما والتواضع لهما في مظهر شيء متخيل محسوس مبالغة في الإلزام به والدعوة إليه، فقال: واخفض لهما جناح الذل من الرحمة. فقد صور الذل المأمور به بطائر خر هاوياً إلى الأرض ثم صور مبالغة وضوح الذل والتواضع بنشر هذا الطائر مع ذلك جناحيه يخفضهما نحو الأرض.

بيد أنه استدرك، كي لا تحسب أنه ذل الحطة والصغار، وهو ما ينهى عنه الإسلام ولا يمكن أن يأمر به، فقال: من الرحمة، أي بسبب وبعامل الرحمة بهما، وهو شرف لك وليس بصغار عليك.

ومع ذلك، فلا تقتصر على أن تعاملهما برحمة من عندك، بل ادع الله لهما أيضا على أن يشملهما برحمة من عنده. وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا أي رحمة كرحمتكما بي إذ كنت صغيرا، أو في مقابل رحمتكما بي إذ ذاك.

*ولما بالغ هذه المبالغة في الأمر ببر الوالدين، حتى إنه لم يرخص في أدنى كلمة قد تفلت من المتضجر، أعقب ذلك ببيان رفع الحرج عمن أساء ثم أسرع فتاب، ولم يكن قلبه منطويا إلا؟؟؟ على الخير والبر والتزام أمر الله عز وجل، وتأمل في الأسلوب الذي أخرج به هذا المعنى إذ قال: ربكم أعلم بما في نفوسكم إن تكونوا صالحين فإنه كان

للأوابين غفورا. وفيه تقرير بأن التوبة الكاذبة باللسان لا تحدد الله عز وجل لاطلاعه على ما استقر في النفوس، وفيه تأكيد بأن الله يقبل توبة الآئب إليه؟؟؟ النادم على ما قد كان منه.

*وينتقل البيان القرآني إلى المبدأ الثالث، وهو الوفاء بحق القرابة والرحم خاصة وبحق عموم الفقراء والمساكين عامة؛ وهو مبدأ وثيق الصلة والمناسبة بالذي قبله وهو بر الوالدين، وليس الأمر هنا بالإحسان والرفق، ولكنه أمر بإعطائهم الحق الذي لهم عليه، حتى لا تتصور أن لك بذلك عليهم منة وأنتك تمنحهم من حقتك الذي هو لك ... وعن هذا المعنى تعبر صياغة الآية: وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل. أما الأمر بالإحسان إلى الوالدين، فليس فيه مثار لهذا التصور، وذلك لأن الولد مهما بالغ في الإحسان إلى والديه فإنه لن يفي لهما بجزء من حقهما السابق عليه.

ولما كان الوفاء للأقارب والمعوزين بحقوقهم يقتضي حجز المال عن تبديده في الجهات الباطلة نهي الله عن ذلك بقوله ولا تبذر تبذيرا. والمفعول المطلق لبيان النهي عن التبذير الذي لا مسوغ له إلا التبذير المجرد، وذلك لإخراج

صور من الإنفاق قد تظهر في مظهر التبذير ولكنها ليست في الحقيقة كذلك إذ يقتضيها مصالح وأسباب مشروعة معينة.

وبالغ في النهي عن هذه العادة بقوله مخبرا (إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا) أي كانوا قرناء للشياطين، وفيه إلماح إلى أن عادة تبذير المال وتبديده إنما تتمكن بتغلب الوسوس الشيطانية لا أكثر، إذ ليس من ورائه أي غاية أن مصلحة يحتاجها الإنسان.

*ولكن أرايت لو لم يكن الإنسان موسرا بالمال الذي يعطي منه حق القرابة والمحتاجين فأعرض عنهم عجزا عن العون لا استكبارا عن أداء الحق؟ لقد عالج البيان الإلهي العظيم هذه الحالة بأسلوب بالغ الروعة إذ قال: وإما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها، فقل لهم قولا ميسورا: أي مهما اضطرت إلى الإعراض عنهم بسبب الفقر والعوز اللذين تتأمل بهما فرج الله ورحمته، فقل لهم في مكان ذلك كلاما سهلا لنا وعدهم وعدا جميلا، فالميسور هنا مفعول بمعنى الفاعل، أي يسر ضرهم عليهم بكلامك الجميل لهم. ولما أمر الله عز وجل في الآيات التي ذكرناها بالوفاء بحق الأقارب والمحتاجين ونهى عن تبديد المال فيما لا حاجة إليه، حتى لا يفوت بذلك أداء هذا الحق والقيام به، ناسب أن ينتقل الحديث إلى تقرير مبدأ جديد يتعلق بتنظيم الإنفاق ويضع قانونا عادلا له. والمبدأ الإلهي الذي يخاطب به كافة العباد في ذلك، هو أن يكون الإنفاق قائما على العدل بين التقدير والبخل المعيب من جانب، والإسراف والتبذير المقيت من جانب آخر. ولكن الأسلوب القرآني لا يعبر عن هذا المعنى بهذه الطريقة المألوفة، وإنما يخرجها في صورة محسوسة متخيلة فيقول: ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا. فقد صور البخل في مظهر اليد المربوطة إلى العنق فهي لا تكاد تنفك عنه، ومعلوم أن اليد أبعد ما

تكون عن الآخرين حينما تكون مقيدة بهذا الشكل الغريب، وصور الإسراف بتلك اليد التي تظل ممتدة ومبسوطة لا تكاد ترجع إلى صاحبها أو تنقبض على شيء، ثم هدد من يلتزم بذلك التفريط أو هذا الإفراط بأن سيأتيه يوم يعود من دأبه هذا ليقعد منقطعاً عن أسباب العيش والرزق، يتلقى اللوم من الله والناس على ما أفرط أو فرط.

*وتأتي الآية التي بعدها، واقعة موقع التعليل مما قبلها وهي: إن ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر. إنه كان بعباده خبيراً بصيراً. أي فإذا كان مصدر رزقك هو الله عز وجل يبسطه إذا شاء ويضيقه عند ما يريد، فالتزم وصيته في آداب الإنفاق وكيفيته، إذ لا البخل هو الذي يحفظ مالك ويريه ولا التبذير والإسراف يمنعانك من أن يعاقبك الله بذلك فيقدر عليك رزقك الذي تتقلب وتمرح فيه. ثم يقول إنه كان بعباده خبيراً بصيراً، إشعاراً بأنه يراقبهم بصدد ما يأمرهم به من هذه المبادئ هل ينفذونها أم يعرضون عنها؟ *وتتبعاً المناسبة- مع الحديث عن آداب الإنفاق وتقرير أن الرزاق للعباد هو الله وحده- لعرض مبدأ خامس، وثيق الصلة بكل ما قد مر. فيقول الله عز وجل: ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم إن قتلهم كان خطأ كبيراً أي لا تقتلوه مخافة فقر تنوهمونه، وأصل أُمْلِق بمعنى التصق بالملقات، وهي حجارة رقاق ملساء فكفي به بعد ذلك عن الفقر والحاجة. ثم علل النهي بتأكيد ما قد ذكره في الآية السابقة فقال: نحن نرزقهم وإياكم، أي لستم أنتم الذين ترزقون أولادكم حتى تحاروا في أمرهم فتندفعوا بذلك إلى قتلهم؛ بل نحن الذين نرزقهم وإياكم جميعاً، وبالع في إظهار هذا المعنى مع شيء من التأديب حينما قدم ضمير الأطفال في الرزق على الآباء، إذ أشعرهم بذلك بأن رزق أطفالهم مقدر مهياً لهم من قبل رزقهم

هم، فلا يتوهموا أن لهم أي تأثير في رزقهم حتى ولا التأثير الشكلي الذي يتجلى في مظهر كونهم وسطاء لهم في الرزق والرعاية. وحينما نهي الله في سورة الأنعام عن قتلهم أولادهم من أجل وقوع الفقر بهم فعلا قائلاً: لا تقتلوا أولادكم من إملاق لم يقدم ضمير الأطفال كما فعل هنا، ذلك لأن خوف الآباء هناك إنما هو على أنفسهم وأولادهم معاً، أو هو على أنفسهم قبل أولادهم فلا داعي إلى إشعارهم بهذا المعنى على ذلك التقدير.

ومن أجل وضوح كل ذلك، فقد كان قتلهم خطأ كبيراً. وخطء بكسر الخاء مصدر خطئ يخطأ كآثم يأثم وزنا ومعنى، فهو أبلغ وأشد من الخطأ بفتح الخاء والطاء، إذ هو الإتيان بما لا ينبغي من غير قصد.

*ويجر الحديث عن الأولاد وحرمة قتلهم إلى الحديث عن أهم وأخطر مبدأ من المبادئ المتعلقة بالأسرة، وهو المبدأ السادس في سلسلة هذه المبادئ الإنسانية فيقول الله عز وجل: ولا تقربوا الزنى إنه كان فاحشة وساء سبيلاً والمنهى عنه في الآية إنما هو الزنى، ولكن الآية لا تنهي عن مباشرة ارتكابه فقط كما في الآيات السابقة، وإنما هي تنهى هنا- كما ترى- عن مجرد قربه والدنو إليه؛ ففي الآية تقرير واضح للنهي عن مباشرة أسبابه وذرائعه ومقدماته، كاختلاط وخلوة وتبرج ونحوه، ذلك لأن القرب ليس إلا كناية عن ممارسة هذه الدوافع والأسباب. وفي الآية أيضاً تقرير لخطورة هذه الفاحشة وأن عدم مفارقتها لا يكون إلا بالتباعد عن أسبابها وذرائعها القريبة والبعيدة، أما بعد اقتحام الأسباب والذرائع فإن الدوافع البشرية تجمع بصاحبها نحو الشر الذي تعرض له وهيئات أن يقوى عندئذ على كبحها والتغلب عليها. و«فاحشة» في الآية صفة لمحذوف أي كان فعلة فاحشة،

وساء سبيلا، أي بئس طريقا طريقه، لما فيه من الخطر على الأسرة والمجتمع ولما فيه من مختلف الشرور الأخرى.

*ومع النهي عن الزنى، تحين المناسبة للنهي عن القتل، فهما جريمتان متقاربتان ومتشابهتان في الخطورة والضرر على المجتمع، وكل منهما يشبه الآخر من بعض النواحي، وهو المبدأ السابع فيما توصي به هذه الآيات: ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا تقتلوا النفس أي نفس كانت، ما دامت أنها نفس أي روح ... إلا أن يكون ذلك لحق يستوجبه ويقتضيه. وهكذا تلك صياغة الآية على أن الأصل في كل روح أن تكون مصونة عن الإزهاق، وما يخالف هذا الأصل إنما يأتي لعارض.

ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا من قتل بدون مسوغ من الحق المذكور فقد جعلنا لمستحق دمه تسلطا على القاتل في الإرادة والحكم، فإن شاء طالب بالقصاص وإن شاء بالدية وإن شاء عفا.

فلا يسرف في القتل، إنه كان منصورا عبر بهذا النهي عن كل ما قد يقوم به ولي المقتول من مظاهر الانتقام المختلفة، بأن يقتل في مكان الواحد اثنين أو ثلاثة كما كانوا يفعلون، أو بأن يمثل بالقاتل أو يزيد إلى القتل سلبا ونحبا، أو بأن يقتل غير قاتله، أو غير ذلك مما يدخل في باب التشفي ويتجاوز القصاص والحق. عبر عن النهي عن كل ذلك بهذه الصيغة الجامعة: فلا يسرف في القتل. والآية لا تنهى ولي المقتول عن هذا الإسراف إلا وهي تطمئنه إلى أنه واصل إلى حقه، وعبرت عن ذلك بصيغة الماضي مصدرة بأن المؤكدة: إنه كان منصورا تأكيدا للوقوع ومزيدا من التطمين لحاظر صاحب النفس الملتاعة المتأثرة.

*وتنتقل الآيات إلى مبدأ ثامن، هو الرأفة باليتيم، والنظر في ماله بالحفظ والصيانة. وهو مبدأ يهتم به القرآن اهتماما كبيرا، لما له من آثار خطيرة في

المجتمع سلبا وإيجابا، إذ التفريط من أسوأ مظاهر الظلم والخيانة. وفي ذلك يقول الله عز وجل: ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده. وإنما اقتضت المبالغة في النهي هذا الأسلوب، لأن أكل مال اليتيم له هو الآخر، كالزنا، أسباب وذرائع، إذا تهاون ولي اليتيم بالوقوع فيها يوشك أن يقع من ورائها في أصل المنهي عنه. واستثني من عموم النهي أن يعالج له ماله بالحفظ والاستثمار والتجارة التي لا مغامرة فيها، وعبر عن مثل هذه المعالجات المحمودة بقوله: إلا بالتي هي أحسن من الابتعاد والترك.

وختم هذا الأمر، بتذكير ولي اليتيم بالعهد الذي قام بينه وبين والده، وبأن عليه الوفاء بالعهد الذي أخذه على نفسه. ويقول بعد ذلك: إن العهد كان مسئولا، أي إن العهد سيسأل عما قد فعل به من حفظ أو ضياع له. أخرج العهد في صورة إنسان تجسدت فيه الأمانة وكلمة الشرف ليوجه إليه الخطاب والسؤال، وذلك تأكيدا للعدالة الإلهية التي تراقب أعمال الناس ومعاملاتهم لبعض، وتحسيدا لدقة محاسبة كل على ما قد فعل. وأسلوب الآية في هذا جار على غرار قوله عز وجل: وإذا الموؤدة سئلت بأي ذنب قتلت.

* ومع الحديث عن الأمانة وضرورة الوفاء بالعهد يوصي الله عز وجل بمبدأ تاسع، هو من أهم ما يتعلق بالأمانة والعهد فيقول: وأوفوا الكيل إذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ذلك خير وأحسن تأويلا أي أتموا الكيل ولا تخسروه، حينما تريدون أن تكيلوا للمشتريين، فالخطاب هنا للبائعين، إذ هم الذين يكيلون، أما المشتري فإنما هو يكتال، أي يطلب أن يكال له. ومن أجل ذلك قيد الأمر بالوفاء عند إرادة الكيل، إذ الكائل هو الذي تراوده نفسه بخسران الكيل. ثم أمر بنحو ذلك عند التعامل بالوزن، ولما كانت

طريقة الوزن مختلفة عن طريقة الكيل خالف في التعبير عن الوفاء بكل منهما.

وعلى هذا الأمر بأنه أفضل للبائع، وبأنه أحسن عاقبة. وإنما قال ذلك ليزيل الوهم العالق بأذهان البعض من أن الظاهر المحسوس أن التلاعب بالكيل والوزن خير للبائع إذ هو يزيد في دخله وربحه. فكأنه يقول: إنه وإن خيل إليكم ذلك في أول الأمر فإن العاقبة تأتي بعكس ما تتخيلون، إذ كل ذلك سرعان ما يتبدد وينمحق، عند ما يعلم شأن هذا المحتال وعادته بين الناس.

*ويأتي المبدأ العاشر نهيًا وتحذيرًا عن اتباع أو تبني ما لم تعلم حقيقته من الأمور. وهو مبدأ ذو علاقة كبرى بتربية الفرد والمجتمع، وإليه يعود الأمر في معالجة معظم المشاكل والقضايا التي يشكو منها الباحثون والمفكرون في كل عهد وظرف. ولكن انظر إلى الأسلوب الذي أخرج به البيان الإلهي هذا المعنى: ولا تقف ما ليس لك به علم. إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولًا وتقف بمعنى تتبع من قفا أثره أي اتبعه. فهو يقول: (لا تكن في اتباعك لما لا تعلم حقيقته من عقيدة أو قول أو فعل مثل من يتبع سبيلًا مجهولًا لا يدري إلى م سيوصله. فهو يشبه المجهول الذي يسارع فيه الإنسان دون علم حقيقي به، بالطريق التائهة التي لا يدري نهايتها إذ يقتحمها السالك ظانًا بمجرد وهمه أنه سيصل منه إلى بعض ما يبتغيه.

ثم يعلل هذا النهي الخطير، بأن كلا من السمع والبصر والعقل إنما هو أمانة استودعتها أيها الإنسان لتستعملها في درك الأمور والتحقق منها قبل الخوض فيها، ولا جرم أنك ستسأل عن هذه الأمانة وستحاسب على تضييعها وعدم استرشادك بها.

ثم إن الجملة في دلالتها على هذا المعنى تحتل أحد تأويلين:

الأول: أن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان مسئولاً عن نفسه يوم القيامة، فاسم كان ضمير عائد إلى كل من السمع والبصر والفؤاد. والآية على هذا التأويل جارية على غرار ما قلناه في: إن العهد كان مسئلاً وإذا المؤودة سئلت وقد علمت المعنى البلاغي فيه.

الثاني: أن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئلاً فاسم كان على هذا ضمير عائد على الإنسان، والمعنى فيه واضح. وقد نزل الله عز وجل هذه الأعضاء الثلاثة منزلة العقلاء، بسبب أن قوام عقل الإنسان وفكره بها، فمن أجل ذلك أشار إليها بما يشار به إلى العاقل وهو: أولئك.

* والمبدأ الأخير مبدأ أخلاقي ذو اتصال مباشر بالذي قبله، بل بينهما تلازم في السلب والإيجاب، وهو تحذير الإنسان من أن يسلم نفسه للغرور الذي ينسيه حقيقة ذاته فيتعاضم ويتكبر ... وكل ما حوله من الناس والمخلوقات مما لا موجب للتعاضم عليه. وانظر ما يقول الخطاب الإلهي في ذلك: ولا تمش في الأرض مرحاً إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولاً والآية كما ترى تفيض بالصور المختلفة التي تسخر من هذا الذي يمشي متكبراً على الأرض. فمن ذلك أنه قيد المشي بالأرض، وهو شيء معلوم، إشعاراً بأن هذا الذي يمشي على الأرض لا يليق بحاله أن يتكبر من فوقها. ومن ذلك أنه أخبر بما هو معلوم، وهو قوله: إنك لن تخرق الأرض. تنزيلاً للمتكبر المتجبر منزلة من غابت عنه هذه الحقيقة الواضحة، فهو يحتاج إلى من ينبهه إليها! ومن ذلك هذه الصورة الساخرة التي تتركها الجملة في الذهن: إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولاً. إنها تصور لك ما يفعله المتعاضم في سيره إذ يضرب بقدمه الأرض كأنه يفاخرها ويشعرها بشأنه، ويرفع رأسه

متطاولا كأنما يريد أن يطاول بهامته ذرى الجبال مع أنه هو هو، ذلك المخلوق الضعيف الذي لن يخرق أرضا ولن يطاول جبلا.

وبعد أن انتهى الحديث عن تفصيل هذه المبادئ الهامة في حياة الإنسان، عاد الخطاب الإلهي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مشيرا إلى كل هذه المبادئ قائلا: ذلك ما أوحى إليك ربك من الحكمة، أي من معرفة الحق؛ فالحكمة، هي اكتشاف الحق الذي قد يخفى على غير ذي البصيرة. وكان الخطاب من قبل ذلك متجها إلى الإنسان عموما، فمرة يخاطبه بصيغة الجماعة كما في قوله: ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن، ومرة يخاطب فيه الفرد المتكرر كما في قوله: ولا تقف ما ليس لك به علم..

ثم يختتم هذه المبادئ بما قد بدأ به، وهو مبدأ الإيمان بالله عز وجل ووحدانيته قائلا: ولا تجعل مع الله إلها آخر فتلقى في جهنم ملوما مدحورا، إشعارا بأن ملاك هذه المبادئ كلها وضمان تطبيقها الوحيد هو الإيمان بالله عز وجل إيمانا صادقا. فما لم يوجد الإيمان به فإن هذه المبادئ لن تنفذ كما ينبغي مهما آمن الناس بأنها حق لا مرية فيه. إذ إن مجرد الإيمان بالفضيلة لا يكفي دافعا إلى التمسك بها وكم في الناس من يؤمن بأن الحق حق ومع ذلك فهو لا يقوى على تنفيذه، ويؤمن بأن الباطل باطل ومع ذلك لا يستطيع التخلص من ظله، والله سبحانه أعلم (البوطي، 1999: 257-267).

هذا نص تفسير الشيخ محمد سعيد رمضان البوطي في المبادئ والإنسانيات. ومن المهم في هذا المطلب أن الباحث يظن أن كلمة (المبادئ والإنسانيات) كلمة واحدة في المقصود والمعنى دون الكلمتين المتفرقتين وإن لزم من اتخاذ الحرف العاطف يعنى لفظ الواو المغايرة في المعنى كما في القاعدة الأصولية (الزحيلي، 2004: 132).

فالمراد في الحقيقة هو المبادئ الإنسانية يعني الأمر الأساسي وقواعد عامة في قيمة إنسانية. والواو في مثل هذه التراكيب من الواو التفسيرية التي تخصص ما قبلها من العموم. فيكون المقصود من المبادئ هذه ما كان مختصا للإنسانيات دون المبادئ الاجتماعية أو المبادئ الفقهية مثلاً. ويؤيد هذه الظنية استعمال هذا الشيخ الكريم في بعض الأحيان بكلمة (المبادئ الإنسانية) بدون الواو كما مر في تفسيره. والقاعدة المشهورة أن الشيء المحمل الذي يحتمل أكثر من معنى واحد مبين بالبيان الذي كان في موضع آخر (زكريا الأنصاري، 1992: 79).

ويمكن تلخيص ما مر من عبارات نص الشيخ محمد سعيد رمضان البوطي في المبادئ الإنسانية بأن مبادئها المذكورة في هذه الآيات لا تكون أدنى من أحد عشر مبدأ كما يلي:

- (1) التوحيد والعبودية لله جل جلاله.
- (2) بر الوالدين.
- (3) الوفاء بحق القرابة والرحم خاصة وبحق الفقراء والمساكين عامة.
- (4) تنظيم الإنفاق والقانون العادل له.
- (5) النهي عن قتل الأولاد خشية الإملاق.
- (6) النهي عن مجرد قرب الزنا.
- (7) النهي عن قتل النفوس.
- (8) الرأفة بالأيتام.
- (9) وجوب الأمانة في المسؤولية. إن الكرامة الإنسانية ترتبط في المفهوم الإسلامي بالحرية وبالمسؤولية، فهي ليست كرامة بدون دلالة عملية تنعكس في سلوك الفرد ومعاملته لأعضاء الأسرة البشرية. ولعل من أعمق البحوث التي عرضت لهذا

الجانب من الكرامة الإنسانية ما كتبه عباس محمود العقاد في كتابه (الإنسان في القرآن)، حيث يقول إن مكان الإنسان في القرآن الكريم، هو أشرف مكان له في ميزان العقيدة، وفي ميزان الفكر، وفي ميزان الخليقة التي توزن به طبائع الكائن بين عامة الكائنات، هو الكائن المكلف، وهو أصوب في التعريف من قول القائلين (الكائن الناطق) وأشرف في التقدير (عباس محمود العقاد، 1971: 232).

(10) تربية الفرد والمجتمع بأن لا يقبل الخبر بدون الوقوف والتبين.
(11) تحذير الإنسان من أن يسلم نفسه للغرور الذي ينسبه حقيقة ذاته فيتعاضم ويتكبر رغم حرمتهم . إن الإسلام دين الحياة، وهو بذلك يدعو الإنسان إلى أن يمارس هذه الحياة بالحضور والمساهمة والإنتاج، وإلى أن يكون هذا الحضور متسماً بالعهزة والكرامة والشرف، مما لا يمكن أن يتحقق إلا بالحرية التي هي في طبيعة حقوق الإنسان، والتي تعد في الرؤية الإسلامية، قيمة كبرى، سواء بالنسبة للفرد أو الجماعة (عباس الحراري، 1998: 69).

والعجيب ما قاله الشيخ البوطي بعد ذكر هذه المبادئ كلها أن الله ختم بما قد بدأ به وهو مبدأ الإيمان إشعاراً بأن ملاك هذه المبادئ كلها وضمان تطبيقها الواحد هو الإيمان بالله عز وجل إيماناً صادقاً (البوطي، 1999: 267).

هذا كله في مضمون تفسير الشيخ محمد سعيد رمضان البوطي الذي يمكن للباحث أن يلخصه وأن يحلله بقدر ما استطاع. والآن، يريد الباحث أن ينظر في أسلوب تفسيره ومنهجه في المبادئ الإنسانية هذه باختصار ولا إطناب كي يكون تطبيقاً لهذا المنهج.

فالشيخ البوطي بدأ تفسيره بذكر العنوان (في المبادئ والإنسانيات) ثم ذكر الآيات التي تناسب هذا الموضوع، ثم ذكر تعريفا عاما لهذه الآيات وشرحها. وقد نظر الشيخ أولا بعلم المعاني من علم البلاغة. وهو التفات الكلام. والالتفات هو الانتقال من خطاب الحاضر إلى الغائب وبالعكس، وما يجري مجرى ذلك. وقيل إن الزمخشري قال إن الرجوع من أحد هذين النوعين إلى الآخر إنما استعمله العرب تقننا في الكلام، وانتقالا من أسلوب إلى أسلوب تطرية لسماع السامع، وإيقاظا للاستماع إليه. ورد بأن الأمر ليس كما ذكر؛ لأن هذا الكلام يتضمن أن السامع قد يمل من أسلوب واحد، فينتقل إلى غيره لينشط المستمع للاستماع، وهذا قدح في الكلام، لا وصف له؛ لأنه لو كان حسنا لما مل، وأجيب أنه إذا كان حسنا لا يمل، وهل الملal إلا من الملذذ؟ ألا تراهم كيف يقولون مل فلان التنزه في البستان، ويقولون قد مللت من أكل الحلواء. ومللت من سماع الأغاني؟ ولأن الأشياء الكريهة المملولة لا يقال لها مللتها، ألا تراهم يستقبحون قول من يقول قد مل المحبوس من الحبس، والمضروب من الضرب؟ فالذي ذكر أولا عكس الصحيح (عبد الحميد بن هبة الله، بدون السنة: 225).

ويظهر هذا الالتفات في قوله تعالى (وقضى ربك) يلتفت إلى قوله تعالى (ألا تعبدوا إلا إياه)، والذي يهتم أن الشيخ البوطي لم يظهر الأسلوب الالتفاتي في القرآن محضة بل ذكر حكمة هذا الالتفات بأن ذلك لأن الجملة الأولى حكاية فناسب أن يتجه الخطاب فيها إلى النبي عليه الصلاة والسلام، وأما الثانية فأمر وتوجيه، فناسب أن يتجه الخطاب فيها إلى عامة الذين يتجه هذا الأمر إليهم (البوطي، 1999: 258).

كما أن الشيخ البوطي نظر في الكناية من علم البيان في قوله تعالى (ولا تقل لهما أف ولا تنهرهما)، وذلك أن الله سبحانه كنى بالأول الذي هو أقل مظهر عن أن تضيق ذرعا بهما في شعورنا ونفسنا، وكنى بالثاني الذي هو أدنى مظهر عن الإيذاء في شيء من عملنا ومعاملتنا لهما. والكناية هي لفظ أريد به لازم معناه مع جواز إرادة ذلك المعنى نحو طويل النجاد أي طويل القامة (ياسين بن عيسى الفاداني، 1992: 135).

وفي المناسبة، ذكر الشيخ البوطي وجه تناسب ذكر الوالدين إثر رتبة توحيد الله وعبادته بأن الله هو المسبب الحقيقي لوجود الإنسان وعيشه والوالدان هما السبب الجعلي الظاهري له. والمناسبة هي علم يبحث في المعاني الرابطة بين الآيات بعضها ببعض، وبين السور بعضها ببعض، حتى تعرف علل ترتيب أجزاء القرآن الكريم. وأنواعها ثلاثة المناسبة بين الآيات والمناسبة في السورة لتكون السورة وحدة متحدة والمناسبة بين السور لتكون السور قرآنا واحدا (عادل بن محمد، 1425: 18).

وكذا في قوله تعالى (ولا تبذر تبذيرا) بعد قوله تعالى (وآت ذا القربى)، ذكر الشيخ البوطي أن وجه المناسبة هو كون الوفاء للأقارب والمعوزين بحقوقهم يقتضي حجز المال عن تبديده في الجهات الباطلة نهي الله عن ذلك. والحكمة من كون المفعول المطلق هي أن المنهي هو التبذير المجرد لإخراج صور من الإنفاق قد تظهر في مظهر التبذير ولكنها ليست في الحقيقة كذلك إذ يقتضيها مصالح وأسباب مشروعة معينة. وبعد هذا النهي، ناسب أن يذكر قانونا أساسيا في كيفية الإنفاق ونظمه. وعلل ذلك بأن الله هو ييسر الرزق لمن يشاء. ولذلك ناسب أن يذكر الله جل جلاله النهي عن قتل النفس التي ضمن الله رزقها بعد تلك الآية. وبعد ذلك، أردف الله بذكر جريمة الزنا. لأن القتل والزنا جريمتان متقاربتان متشابهتان في الخطورة والضرر

على المجتمع وكل منهما يشبه الآخر من بعض النواحي. ثم ذكر الله ما يؤثر في المجتمع إيجابا وسلبا بقوله (ولا تقربوا مال اليتيم)، وكذا الامر الاجتماعي في المعاملة بقوله (وأفوا الكيل)، وأربط جل جلاله ما شاع وأثر في المجتمع من أمر الخبر بقوله (ولا تقف ما ليس لك به علم)، وعلمه بأنه مسؤولي. وختم بما اتصل مباشرة بالذي قبله بل بينهما تلازم في السلب والإيجاب بقوله (ولا تمش في الأرض مرحا)، وبعد ذلك كله عاد البيان إلى ما بدأ به بمبدأ الإيمان والعبودية (البوطي، 1999: 260-267).

وقد بحث الشيخ البوطي الجوانب اللغوية أيضا. فمثلا، نظر الشيخ أصل كلمة (إما يبلغن) هو إن يبلغ عندك الكبير. وأصل أما إن ما فأدغمت نون الشرطية في ميم ما الزائدة (الصبان، 1997: 207)، كما ذكر الشيخ أصل اشتقاق لفظ (خِطُّا) بكسر الخاء مصدر خطئ يخطئ كَأْثَمَ يَأْثَمُ وزنا ومعنى فهو أبلغ وأشد من الخطأ بفتح الخاء والطاء إذ هو الإتيان بما لا ينبغي من غير قصد.

ولاحظ الشيخ البوطي حسن الأسلوب القرآني في قوله تعالى (إما يبلغن عندك الكبير أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما)، بأن القصد من تصوير المعنى في (عندك) كما سيأتي هو الذي اقتضى تقديم لفظ (الكبير) وهو مفعول على لفظ (أحدهما) وهو فاعل، ولو اختلف نسق هذه الألفاظ وترتيبها اختلافا ما لاختف الصورة وبطل أن يكون في الآية شيء من هذا الإيحاء.

وظهر من هذا التفسير أيضا التصوير الفني القرآن في قوله تعالى (عندك) من قوله (إما أن يبلغن عندك الكبير...) بأنه تصور هذه الآية لنا كيف أن الكبير والضعف قد وضع كلا من الوالدين في كنف الابن وتحت رعايته بعد أن كان الابن هو الضعيف الذي يعيش في كنفهما وتحت رعايتهما (البوطي، 1999: 259).

وللتأكيد من هذا الأسلوب التصويري، بين سيد قطب أن التصوير النفي هو الأداة المفضلة في أسلوب القرآن، فهو يعبر بالصورة المحسنة المتخيلة عن المعنى الذهني والحالة النفسية وعن الحادث المحسوس والمشهد المنظور وعن النموذج الإنساني والطبيعة البشرية. ثم يرتقي بالصورة التي يرسمها فيمنحها الحياة الشاخصة أو الحركة المتجددة. فإذا المعنى الذهني هيئة أو حركة، وإذا الحالة النفسية لوحة أو مشهد، وإذا النموذج الإنساني شاخص حي، وإذا الطبيعة البشرية مجسة مرئية (سيد قطب، 2002: 36).

وظهر هذا التصوير الفني أيضا في قوله تعالى (واخفض لهما جناح الذل من الرحمة)، ذكر الشيخ البوطي أنه صورت هذه الآية ما ينبغي أن تكون عليه حال الولد من والديه دائما، وأخرج معنى الرحمة بهما والإحسان إليهما والتواضع لهما في مظهر شيء متخيل محسوس مبالغة في الإلزام به والدعوة إليه، فقال: **وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ**. فقد صور الذلّ المأمور به بطائر خرّ هاويا إلى الأرض ثم صور مبالغة وضوح الذلّ والتواضع بنشر هذا الطائر مع ذلك جناحيه يخفضهما نحو الأرض (البوطي، 1999: 259).

ويتمثل أيضا هذا التصوير في قوله تعالى (ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك)، فقد صور البخل في مظهر اليد المربوطة إلى العنق فهي لا تكاد تنفك عنه، ومعلوم أن اليد أبعد ما تكون عن الآخرين حينما تكون مقيدة بهذا الشكل الغريب. وكذا في قوله تعالى (إن العهد كان مسؤولا) ذكر الشيخ أن العهد سيسأل عما قد فعل به من حفظ أو ضياع له، فأخرج العهد في صورة إنسان تجسدت فيه الأمانة ولكمة الشرف ليوجه إليه الخطاب والسؤال وذلك تأكيد للعدالة الإلهية التي تراقب أعمال الناس ومعاملتهم لبعض وتجسدا لدقة محاسبة كل على ما قد فعل.

والذي يهتم أيضا أن الشيخ البوطي اتخذ الأسلوب الأدبي والأسلوب العلمي في ذكر تفسيره. فاستعمل بكلمة أخاظة دفاقة مع الوضوح السريع الفهم. وأما اللون الصوفي فيظهر في تفسيره هذا عن المبادئ الإنسانية في أمر العبودية كما مر. وظهر جليا في قول الشيخ البوطي (ثم يختم هذه المبادئ بما قد بدأ به، وهو مبدأ الإيمان بالله عزّ وجلّ ووحدانيته قائلا ولا تجعل مع الله إلها آخر فتلقى في جهنم ملوما مدحورا، إشعارا بأن ملاك هذه المبادئ كلها وضمان تطبيقها الوحيد هو الإيمان بالله عزّ وجلّ إيمانا صادقا. فما لم يوجد الإيمان به فإن هذه المبادئ لن تنفذ كما ينبغي مهما آمن الناس بأنها حق لا مربة فيه. إذ إن مجرد الإيمان بالفضيلة لا يكفي دافعا إلى التمسك بها وكم في الناس من يؤمن بأن الحق حق ومع ذلك فهو لا يقوى على تنفيذه، ويؤمن بأن الباطل باطل ومع ذلك لا يستطيع التخلص من ظله).

الباب الخامس

الخاتمة

ت. نتائج البحث

يؤخذ النتائج والخلاصات من عرض ما سبق من البحث في تطبيق منهج

تفسير الشيخ محمد سعيد رمضان البوطي كما يلي:

(1) إن تحليل خصائص بنية تفسير الشيخ محمد سعيد رمضان البوطي في كتابه (من روائع القرآن تأملا علمية وأدبية في كتاب الله عز وجل) متمثل في بحث مصدره ومنهجه ولونه. أما مصدره فإنه يجوز أن يدخل في ناحية التفسير بالمعقول لعدة نقاط. منها استعانتة على العقل في طلب المناسبة بين الآيات وطلب الأسلوب التصويري من القرآن. وكذا حاول البوطي أن يظهر مصطلحات العلمي ولو بالسرعة. وأما من حيث المنهج، فإن هذا التفسير يصح أن يعتبر تفسيراً موضوعياً وبالخصوص يسمى موضوع السورة ولكن ليس سورة كاملة بل بعض السورة لتكون كالأنموذج. ولون هذا التفسير من الأدبي الاجتماعي الصوفي. ولكن كل هذا اللون بالإجمال لا بالتفصيل لأن قصد الشيخ البوطي ليس دراسة أدبية نقدية بل إيصال الهداية كما سلك عليه سيد قطب ومحمد عبده ورشيد رضا. واللون الأدبي يظهر من فن التصوير القرآني الذي تبع الشيخ البوطي سيد قطب كما أقره. وكذا يظهر من دراسة البلاغة بفن المعاني يبحث الالتفات في المثال وبفن البيان يبحث الكناية والمجاز والتشبيه. وكذا يظهر هذا اللون الأدبي في بحثه الاشتقاق وحكمة مواضع كل حرف. والدليل القوي على هذا اللون الأدبي هو شحن هذا التفسير بعلم المناسبة. والمناسبة هي المشكلة والمقاربة ومرجعها في الآيات ونحوها إلى معنى رابط بينها عام أو خاص عقلي أو حسي أو خيالي أو

غير ذلك من أنواع العلاقات أو التلازم الذهني كالسبب والمسبب والعلة والمعلول والنظيرين والضدين ونحوه. وأما جانب اللون الاجتماعي فيظهر في إظهار هذا الشيخ قواعد وأسساً عامة في ما يتعلق بالمجتمع. كما أظهر الشيخ أن سبب تقدم وتأخر هذا المجتمع لا يكون إلا من أنفسهم وغير ذلك. وأما اللون الصوفي فيتمثل في نظره إلى المصطلحات الصوفية كلفظ العبودية مثلاً. فالشيخ وإن لم يستكمل ويستشبع بحته عن العبودية في هذا الكتاب مثلاً، ولكن تظهر رغبته ونزعتة بعد النظر والبحث في كتبه الأخرى مثل الكتاب (حرية الإنسان في ظل عبوديته لله جل جلاله) والكتاب (منهج الحضارة الإنسانية في الإسلام) والكتاب (الإسلام ملاذ كل المجتمع).

(2) تطبيق منهج تفسير الشيخ محمد سعيد رمضان البوطي في المبادئ والإنسانيات محلل بالتنوعين. الأول من حيث المضمون، والثاني من حيث الأسلوب. أما من حيث المضمون فإن الشيخ محمد سعيد رمضان البوطي رأى أن النزعة الإنسانية في القرآن ليست كما للمذاهب الفلسفية والأخلاقية والاجتماعية التي يتعارض بعضها بعضاً وأخفق كل الآخر. فالإنسانية في القرآن ذاهبة من كيان الإنسان وذاته. وبعد قرع عقوله ومشاعره يحس الإنسان بضعفه وارتباطه على القيود والعواطف الكبحية. وبعد ذلك كله، يعطي الإسلام الشرائع والمبادئ الإنسانية. وهذه التي تسمى بالعبودية. يعني مظهر الذل والاحتياج من العبد على ربه جل جلاله. ومن مبادئ إنسانية ما ذكر في الآيات من سورة الإسراء من آية 23 إلى آية 29. وجملة ما فيها من مبادئ إنسانية لا تنقص من أحد عشر مبدأ. وهي مبدأ الإيمان والعبودية، وبر الوالدين، وإيتاء ذي القربى حقه والمسكين وابن السبيل، وإعطاء القانون في الإنفاق، والنهي من قتل الأولاد، والنهي من قرب

الزنا، والنهي من قتل النفوس، والإيفاء بالعهود والمسؤولية، وحفظ الأمانة في المعاملة، والآداب في حمل الأخبار وأدائها بالوقوف ولا التسارع، والنهي من الكبر. واختتمت هذه المبادئ بالعبودية كما بدأ بها. وأما من حيث الأسلوب التفسيري، فقد كان الشيخ محمد سعيد رمضان البوطي بدأ تفسيره هذا باتخاذ العنوان الذي سماه بالمبادئ والإنسانيات، ثم عرض الشيخ الآيات من سورة الإسراء من آية 23 إلى آية 29. ثم شرح الشيخ هذه الآيات على الإجمال. وبعد ذلك كله، حلل الشيخ على سبيل الإجمال ما تتضمن هذه الآيات من الأسلوب الأدبي. فنظر الشيخ المناسبة بين الآيات، وحلل الشيخ أيضا أصل اشتقاق ما يهيمه، وظهر هذا الأسلوب الأدبي عندما شح مدى التصوير الفني في القرآن. وأكد الشيخ البوطي الأساس الأول في تنفيذ هذه المبادئ التي لولاه لما يمكن تنفيذ المبادئ الأخرى وهو أساس الإيمان والعبودية. وهذا دليل واضح في ربح لون تفسيره الصوفي. وإن لم يكن تلونه مشحونا بالمصطلحات الصوفية كما كتبه السلمي أو القشيري مثلا، غير أن القارئ ليجد ربح هذه المشربة بالنظر في كتابه هذا. فعلى الأقل، لا ينزل هذا التفسير من أن يسمى باللون الأدبي الاجتماعي. ولذلك، ظهر للباحث أن يعتبر هذا التفسير من التفسير بالمعقول لا بالإشاري فضلا أن يقال بالمأثور. وأخيرا، إن المنهج الذي سلك عليه الشيخ البوطي في تفسيره هذا هو موضوع السورة. ففي هذه الآيات، جعل الشيخ موضوعا عاما سماه بالمبادئ والإنسانيات.

ث. اقتراحات البحث

ولما تم من تحليل منهج تفسير الشيخ محمد سعيد رمضان البوطي في كتاب سماه (من روائع القرآن تأملات علمية وأدبية في كتاب الله عز وجل) وما تضمنه

خصوصا في المبادئ والإنسانيات، يرى الباحث أنه يجب عليه أن ينبه لطلبة العلم مثلنا بما يلي:

(1) إن أسلوب تفسير هذا الشيخ الكريم من أهم الأساليب والتفسيرات الإجمالية الأدبية كالريحة العطيرة. فينبغي أن يعتنى به. لاسيما قد أقر الشيخ أن هذا أنموذج يهتدي به القارئ في الاستمرار إلى الآيات الأخرى ويتذوق به الأسلوب القرآني حتى يطرب. فإذا اطرب زاد عشقه بالقرآن وازدهر إيمانه بما تضمن عليه من المبادئ والقيم وتطور للعمل. وقد زعم الباحث في أول الأمر أن يتخذ آية أخرى في الجهاد مثلا يتخذ على هذا المنوال الكريم. ولكن الوقت لم يتح إلي الباحث كما اعتذر به الشيخ البوطي في عدم إتمام تفسيره هذا. فالرجاء أن يكون للطلبة المجتمعة أن يدرسوا ويتخذوا القرآن على هذا المنوال. وتكون هذه الرسالة كالمدخل والمقدمة لإيضاح ما سلك عليه الشيخ محمد سعيد رمضان البوطي في تفسيره.

(2) دراسة المفسر المعاصر مما يقلل اعتناؤه، لاسيما في هذه الجامعة التي قويت فيها دراسة منهج البحث الغربي كما يسمى بهرمينتيكا. ليس الباحث ممن يكرهون التطور ودعوى التقدم بهذه المناهج، ولكن يجب علينا أن نحافظ ما تركه قدمائنا الصالحون كما قيل المحافظة بالقديم الصالح والأخذ بالجديد الأصلح. ولكن أحب الباحث أن يعكس هذه المقالة بقوله المحافظة بالقديم الأصلح والأخذ بالجديد الصالح، وكيف يكون الجديد الأصلح وقد أشار النبي صلى الله عليه وسلم بأن خير القرون قرنه ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم. والمحافظة لا تكون إلا بإحياء هذا التراث في الجامعة ولو بأدنى إلحاح إن لم يمكن على التمام.

(3) البحث في خصائص المفسر لا يلزم على امتيازه بفكر جديد ونظر بديع وأسلوب تام، لا... كيف وقد خلق الإنسان ضعيفا، ومن المعلوم بديهية أن المفسر بل وسائر المفكر إنما هو كحاطب بالليل يأخذ ما شاء ممن شاء ثم يفحصه بعده ويظهره على التوالي في كتبه فيرسم به ويشتهر بهذه النظرية. فمثلا هذا الشيخ البوطي إنما أخذ جانب التصوير الفني ممن سبقه وهو سيد قطب كما أقره في باب التصوير. ولكن كان الشيخ البوطي يرسم التصوير بأجل ما يمكن وأسرع ما يفهم حينما كان سيد قطب لا يشبع بدون التطويل والبحث الفريد منه. فهذا لا يقدر في أن يسمى بأن من خصائص تفسير الشيخ البوطي الإجمال والإسراع في بيان الجانب التصويري في القرآن.

ج. خاتمة البحث

هذا آخر ما أتاح الله للباحث من الوقت والعمل. وقد كان الباحث ممن يحبون الشيخ محمد سعيد رمضان البوطي على دعوى لا تليق وادعاء لا مزيد، دعوى الجاهل الذي يتمنى أن يجلس مع هذا الشيخ الكريم، دعوى المفرط نفسه أن يسلك كما سلك عليه الشيخ العظيم، وليس الباحث مزكيا أحدا إلا إرادته أن يدخل تحت هذا الحديث (اذكروا محاسن موتاكم وكفوا عن مساويهم) رواه الترمذي عن ابن عمر. وقد تمنى الباحث منذ سنوات عديدة بعد الخروج من المعهد الأنوار بسارانج رمانج ومنذ إقامة الباحث في المعهد مفتاح العلوم الباطني أن يكتب فكرة الشيخ محمد سعيد رمضان البوطي الذي قد رآه الباحث تبسمه في اليوتوب حينما سئل هل الشيخ محمد سعيد البوطي غزالي هذا الزمان؟

فأجاب الله سبحانه هذا التمني القاصر والإرادة الدانية لا تليق بنفسه. فلا يكون إلا أن يشكر الباحث تمام الشكر والثناء على الله جل جلاله والنبى الكريم

محمد صلى الله عليه وسلم وسائر العلماء والصالحين خصوصاً لمؤلف هذا الكتاب
يعني الشيخ محمد سعيد رمضان البوطي رحمه الله.

وأخيراً، إن مما تم به ناب الإبل أن يكسر جانب من جوانبه وذلك دليل
على أصليته وعدم تزيفه. وكذلك ما كتبه الباحث، إنما كان هذه كتابات وورقات
مشحونة بالأغلاط الكثيرة وعدم ترتيب الكتابة على ضوء منهج البحث الصحيح،
فالمرجو من أي قارئ كان أن يسد الخلل وأن يزيد البيان وأن يتم النقصان كي ينتفع
عموماً ويقرأ جميعاً والله الحمد والكمال.

قائمة المراجع

ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، المقدمة، دار يعرب، دمشق، 2004 م.

ابن خلدون، عبد الرحمن، مقدمة كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الكتب العلمية، 1971 م.

ابن عرفة، محمد بن محمد، تفسير ابن عرفة، دار الكتب العلمية، بيروت، 2008 م.

الأزهري، محمد بن أحمد، تهذيب اللغة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 2001 م.

الأفريقي، جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور المصري، لسان العرب، دار صادر، لبنان، 1414 هـ.

إمام الحرمين، عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني أبو المعالي ركن الدين، الورقات، الحرمين، سوارابايا، بدون السنة.

الأندلسي، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان، البحر المحيط، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 1993 م.

الأنصاري، محمد بن مكرم بن علي ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، 1414 هـ.

البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله الجعفي، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، دار طوق النجاة، مصر، 1422 هـ.

البدر، عبد المحسن بن حمد العباد، الرد على الرفاعي والبوطي في كذبهما على أهل السنة ودعوتهما إلى البدع والضلال، دار ابن الأثير، الرياض، 2000 م.

بدوي، عبد الرحمن، الإنسانية والوجودية في الفكر العربي، دار القلم، لبنان، 1972 م.

بنت الشاطي، عائشة بنت عبد الرحمن، التفسير البياني للقرآن الكريم، الجزء الأول، دار المعارف، القاهرة، 1977 م.

_____، الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق، دار المعارف، القاهرة، 1971 م.

البوطي، محمد سعيد رمضان، من الفكر والقلب فصول من النقد في العلوم والاجتماع والأدب، دار الفقيه، دمشق، 1997 م.

_____، من روائع القرآن تأملات علمية وأدبية في كتاب الله عز وجل، مؤسسة الرسالة، لبنان، 1996 م.

اليومي، محمد رجب، خطوات التفسير البياني للقرآن الكريم، مجمع البحوث العلمية، مصر، 1971 م.

الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة، الجامع المختصر من السنن عن النبي صلى الله عليه وسلم ومعرفته الصحيح والمعلول وما عليه العمل، بيت الأفكار الدولية، مكة، 1999 م.

التفتازاني، سعد الدين مسعود بن عمر، شرح العقائد النسفية، مكتبة المدينة، باكستان، 2009 م.

الجاحظ، عمرو بن بكر بن محبوب الكناني، البيان والتبيين، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1998 م.

الجرجاني، علي بن محمد بن محمد، التعريفات، الحرمين، سنقافورة، 1421 هـ.

الجرجاني، علي بن محمد، معجم التعريفات، دار الفضيلة، القاهرة، بدون السنة.

جمهر، بزر، نظرية المصلحة وتطبيقها في الأحكام الشرعية دراسة عن فكرة الشيخ محمد سعيد رمضان البوطي في أصول الفقه، الجامعة الحكومية الإسلامية، سمارنج، 2012 م.

الجهني، مانع بن حماد، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، الرياض، 1420 هـ.

جوهرى، طنطاوي، الجواهر في تفسير القرآن الكريم المشتمل على عجائب بدائع

المكونات وغرائب الآيات، مصطفى البابي الحلبي، مصر، 1351 هـ.

الخالدي، صالح عبد الفتاح، سيد قطب الأديب الناقد والداعية المجاهد والمفكر المفسر الرائد، دار القلم، دمشق، 2000 م.

الخولي، أمين، دراسات إسلامية، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، 1996 م.

_____، النقد الأدبي، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 1992 م.

دراز، محمد عبد الله، النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن، دار القلم، الكويت، 1957 م.

الدمنهوري، أحمد، إيضاح المبهم من معاني السلم، الهداية، سورابايا، بدون التاريخ.

الذهبي، محمد حسين، التفسير والمفسرون، مكتبة مصعب بن عمير الإسلامية، 2004

م.

الذهبي، محمد حسين، التفسير والمفسرون، مكتبة وهبة، القاهرة، 2004 م.

ربحي مصطفى عليان وعثمان محمد غنيم، مناهج وأساليب البحث العلمي النظرية

والتطبيق، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، 2000 م.

الرومي، فهد بن عبد الرحمن بن سليمان، اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر،

مؤسسة الرسالة، السعودية، 1997 م.

_____، منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير،

المجلد الأول، مؤسسة الرسالة، لبنان، 1983 م.

الرومي، فهد بن عبد الرحمن بن سليمان، اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، مؤسسة

الرسالة، لبنان، 1997 م.

الزرقاني، محمد عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، دار الحديث، القاهرة،

2001 م.

الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن، دار المعرفة، بيروت

لبنان، 1990 م.

السامرائي، فاضل صالح، على طريق التفسير البياني، جامعة الشارقة، الإمارة المتحدة،

2002 م.

السامرائي، فاضل صالح، على طريق التفسير البياني، جامعة الشارقة، الإمارات العربية

المتحدة، 2002 م.

السبحاني، جعفر، *المناهج التفسيرية*، مؤسسة الإمام الصادق، بدون مكان الطبعة، 1409 هـ.

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن أبي بكر، *معترك الأقران في إعجاز القرآن*، المجلد الأول، دار الكتب العلمية، لبنان، 1988 م.

السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين، *الإتيقان في علوم القرآن*، مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان، 2008 م.

سعيد، عبد الستار فتح الله، *المدخل إلى التفسير الموضوعي*، دار التوزيع والنشر، القاهرة، 1991 م.

الشريف، عبد الله محمد، *مناهج البحث العلمي دليل الطالب في كتابة الأبحاث والرسائل العلمية*، مكتبة الطباع، إسكندرية، 1996 م.

شليبي، أحمد، *كيف تكتب بحثاً أو رسالة*، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1968 م.
الصابوني، محمد علي، *التبيان في علوم القرآن محاضرات في علوم القرآن*، دار الكتب الإسلامية، جاكارتا، 2003 م.

العقاد، عباس محمود، *الإنسان في القرآن*، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2013 م.

علي الحازم ومصطفى أمين، *البلاغة الواضحة*، الهداية، سورابايا، 1961 م.
عواجي، غالب بن علي، *المذاهب الفكرية المعاصرة ودورها في المجتمعات وموقف المسلم منها*، المكتبة العصرية الذهبية، جدة، 2006 م.

الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد الطوسي، *المستصفى*، دار الكتب العلمية، بيروت، 1993 م.

القاسمي، محمد جمال الدين، محاسن التأويل، مكتبة فؤاد عبد الباقي، مصر، 1958 م.
القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك، الرسالة القشيرية، دار المعارف، القاهرة،
بدون السنة.

القطان، مناع خليل، مباحث في علوم القرآن، مكتبة وهبة، القاهرة، بدون السنة.
القطان، مناع، مباحث في علوم القرآن، الحرمين، سورابايا، بدون التاريخ.
قطب، سيد، التصوير الفني في القرآن، دار الشروق، القاهرة، 1992 م.
_____، في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة، 2003 م.

القلموني، محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا
علي، تفسير القرآن الحكيم، الهيئة المصرية العامة، مصر، 1990 م.
الكلبي، محمد بن محمد بن عبد الله ابن جزي، التسهيل لعلوم اللغة، شركة دار الأرقم،
بيروت، 1416 هـ.

مالك بن أنس، الموطأ، الرسالة، دمشق، 2013 م.
مانع بن حماد، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، دار الندوة العالمية للطباعة
والنشر والتوزيع، مصر، 1420 هـ.

المراغي، أحمد بن مصطفى، تفسير المراغي، مكتبة الحلبي، مصر، 1946 م.
هشام عليوان وفادي الغوش، البوطي الدعوة والجهاد والإسلام السياسي،
مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت لبنان، 2012 م.